الرعب

للروائي الإنجليزي

جراهام جرين

ترجمة

علي محمد علي

الكتاب: الرعب (رواية)

الكاتب: جراهام جرين

ترجمة : علي مُحَمَّد علي

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية " ناشرون"

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

جرين ، جراهام

الرعب (رواية)/ جراهام جرين، ترجمة : علي مُحَمَّد علي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٢٣ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ١ – ٧٣٩ – ٤٤٦ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٧٩٢٦ / ٢٠١٨

الرعب

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

الفصل الأول

الأمهات الأحرار

إن آرثر روي لا يستطيع قط مقاومة إغراء الاحتفالات، فهو ينجذب إليها تحت تأثير أصوات جوقات الموسيقى "وقرقعة" كرات الخشب، وهي ترتطم بحبات البندق. لكن هذا العام لن يكون هناك بنادق، ذلك لأن الحرب لا تزال مشتعلة، ونظر آرثر روي من فوق الحاجز، وشعر برغبة قوية في الدخول. إن هذه الاحتفالات ترتبط في ذهنه بأيام الطفولة. ولم يشعر برغبة في السخرية من هؤلاء الذين يقيمون مثل هذه الاحتفالات لجمع المال لأحد الأغراض أو الأهداف. وكالعادة كان هناك أحد رجال الدين يشرف على إحدى لعب الحظ، وهناك امرأة ترتدي زيا ينسدل حتى قدميها تباشر إحدى اللعب وتشرف عليها.

وبدأ الظلام بنشر ألويته، وكان معنى ذلك قرب انتهاء هذا الحفل، فبالليل تعيش لندن كلها في ظلام دامس بسبب الغارات الجوية ودمعت عينا آرثر روي، وهو ينصت إلى الجوقة الموسيقية، وهي تعزف إحدى المقطوعات القديمة "لن أنسى مهما حدث، لن أنسى ذلك الجانب المشرق من الجبل"

ودار آرثر حول السياج إلى المدخل، ورأى القروش تتدفق على الخزينة ولكنها قروش قليلة، وكان واضحا أن عدد الأفراد في الحفل قليل. وتقدم أرثر مترددا تجاه المدخل، وكان في تردده كدخيل أو غريب أو كمن

كان في المنفي، ثم عاد إلى بيته بعد غيبة سنوات طويلة، وهو في شك من مقدار ترحيب قومه به.

كان آرثر طويل القامة نحيف البنية، شعره أسود ولكن قد بدأ الشيب يدب فيها ووجهه نحيف صارم التقاطيع وأنفه مقوس بعض الشيئ وفمه دقيق يدل على الحساسية، وكانت ملابسه لا بأس بها لكن مظهرها يدل على عدم الاكتراث أو الاهتمام. ومن هذا المظهر تستطيع أن تجزم أنه أعزب لولا شيء ما لا يمكن تفسيره يوحي بأنه متزوج. وقالت له امرأة تقف بالمدخل:

– إن أجر الدخول شلن واحد، لكن ليس من العدل أن تدفع هذا الشلن الآن فلو انتظرت خمس دقائق أخرى تستطيع الدخول بنصف هذا المبلغ. إني أشعر دائما أن من العدل لفت نظر الرواد إلى هذه الحقيقة إذا ما كان الوقت متأخرا .

ورد عليها آرثر:

– إنه جميل منك أن تفعلي ذلك .

– إننا لا نريد أن يشعر إنسان بأنه قد غرر به أو خدع، حتى ولو كان الغرض من هذا الحفل غرضا طيبا أليس كذلك؟

ورد آرثر:

– لا أعتقد أني سأنتظر رغم ذلك وسأدخل الآن. خبريني ما هو الغرض من هذا الحفل الخيري؟.

– الغرض منه جمع المال لخدمة الأمهات، أقصد الأمهات في الدول الحرة.

وعاد آرثر إلى أيام طفولته، وتذكر ذلك الحفل الذي كان يعقد دائما في هذا الوقت من العام في حديقة الأبروشية على بعد قليل من طريق ترامبنجتون، ومن الخلف كانت الجوقة تقف في حقول كامبرد شاير لقد كان يذهب الى هذا الحفل كل عام يحدوه شعور غريب، شعور النشوة والانفعال، كما لو أن شيئا لا بد يقع في هذه الاحتفالات أو كما لو أن روتين الحياة في هذه الأمسيات سيتغير إلى الأبد.

وكانت الجوقة تصدح تحت دفء أشعة الشمس، وكانت الوجوه تمتزج وتتداخل فلا يستطيع أن يميز بين مسز تروب صاحبة المخزن أو مس سافيج المدرسة بمدرسة الأحد أو زوجة القسيس، وكان وهو طفل يسير خلف آماده متجولا في مكان الاحتفال بين المتاجر المنتشرة.

إن انفعالات المراهقة والصبا لها مصادر مختلفة فهو مثلا كان يتصور أن يعثر على فتاة جديدة لم يكن قد رآها من قبل وأن تنفك عقدة لسانه وتواتيه الشجاعة. ولكن لأن هذه الأحلام والتوقعات لم تحدث ولم تتحقق يوما فإن نقاء سريرته ظل على حاله لم يخدش..

ولكن ماذا عن شعور النشوة والانفعال؟.. إن هذا الشعور لم يتخل عنه بل ظل ملازما له، لكنه الآن لم يكن يتوقع أن بعثر على فتاة جديدة.. إنه يتوقع الآن أشياء أخرى مختلفة.

أخذ قلبه بيدق بينما كانت الموسيقى تعزف، وغاب هو في ذكريات الطفولة وسمع القسيس يقول له:

– تعالى وجرب حظك هنا يا سيدي

ورد آرثر:

– إذن اعطني بعض القطع النحاسية لألعب بها و...

– ثلاث عشرة قطعة مقابل شلن واحد .

وأخذ آرثر يلقى القطع النحاسية دون جدوى.. وقال له القسيس:

– يبدو أن اليوم ليس يوم حظ لك يا سيدي. فما رأيك في استبدال شلن آخر، إن ما تدفعه يذهب لغرض طيب.

وقال آرثر:

– بل سأدفع في أماكن أخرى.

وتذكر أمه في مثل هذه المناسبات، إنها كانت تقسم ما ستدفعه بالتساوي.

ورأى جماعة يلتفون حول منضدة عليها "تورتة" كبيرة وقد أخذهم الحماس والانفعال. وسمع امرأة تقول لآرثر:

– ألا تشتري تذكرة وتخمن وزن هذه "التورتة"؟

ورفع آرثر التورتة ثم قال:

– إن وزنها ثلاثة أرطال وخمس أوقيات.

وقالت له المرأة:

– إنه تخمين مناسب، ولا شك زوجتك قد علمتك هذا.

وابتعد آرثر عن المائدة وهو يقول "إنني لست متزوجا" وأخذ آرثر يتجول في أنحاء الاحتفال متنقلا بين معروضاته التي أثرت فيها حالة الحرب القائمة، فهي قليلة العدد قليلة التنوع.

ووقف لحظة أمام مكان يعرض "طفايات السجائر" وحوافظ علب الثقاب المشغولة وبعض الكتب المبعثرة التي تحوي مجموعة كاملة لكتب تشارلز ديكنز. وعلب السجائر وبعض العملات الفضية، وراي آرثر بين الكتب كتاب "الدوق الصغير" وهو كتاب تعود أن يشتريه في كل مرة كان يذهب فيها وهو صغير إلى مثل هذه الأماكن. ودفع ست بنسات ثمنا للكتاب واستمر في جولته وشعر شعورا غريبا بأن شيئا ما سيحدث، يعكر صفو هذه الأمسية اللطيفة، وفي تلك اللحظة وصل إلى مكان حطمته القنابل، فكان في هذا المنظر إيحاء بما كان وما سيكون.

ولم يقف أمام لعبة الحظ، ولم يعد هناك إلا زيارة "قارئة الطالع" وكانت تحتل خيمة تسدل عليها ستارة، ورأى امرأة تمسك بذراعه وتجذبه وهي تقول:

– يجب أن تدخل. يجب أن تدخل. إن مسز بليرز رائعة. إنها قالت لابني.

ثم رأت امرأة تمر من امامها فجذبتها من ذراعها واستطردت تقول:

– لقد كنت أحدث هذا السيد عن مسز بيليرز وأنها قالت لابني.

وقاطعتها المرأة:

– تقصدين ابنك الأصغر؟

– نعم.. ابني جاك.

واستطاع آرثر أن يفلت، بينما كانت المرأة مشغولة عنه بالتحادث.

كانت الشمس قد بدأت في المغيب، وأخذ الناس يخرجون بعد أن أوشك الاحتفال على الانتهاء. وبدأ المشرفون على الألعاب المختلفة يفكون لعبهم وأدواتهم، ويعدونها للرحيل قبل أن يسود الظلام وتنطلق صفارات الإنذار معلنة غارة جوية. إن المرء يشعر بالسعادة والانفعال عندما يستمع إلى قارئ الطالع وهو يكشفه من ورق اللعب في البيت أو خلافه، ولكن الاستماع لقارىء الطالع إذا ما كان من المحترفين فيه استمتاع من نوع آخر. ويذكر مرة أن أحد قارئي الطالع رفض أن يقول له شيئا.

وكان في هذا الرفض معان كثيرة وتأثير كبير، ودخل آرثر الخيمة التي تحتلها قارئة الطالع.

ولم يستطع أن يرى شيئا، فقد كان الظلام بداخل الخيمة شديدا ولم يستطع أن يتعرف على مسز بليرز قارئة الطالع إلا بصعوبة، ورآها ممتلئة الجسم ملتفة في دثار يشبه ملابس الفلاحات. وفاجأه صوت مسز بليزر القوي العميق. وشعر أنه صوت يدعو إلى الاقتناع وميل تقول له:

– اجلس وارسم علامة الصليب على راحتي ببعض النقود

وقال آرثر:

– إن الظلام شديد هنا.

وبدأت الرؤية تتضح وأخذ آرثر يميز الأشياء من حوله. إنها امرأة ممتلئة تضع وشاحا حول كتفها، ودس آرئر يده في جيببه، وأخرج بعض النقود ووضعها في يد المرأة. وأمرته:

– مد لي يدك.

وأمسكت بها وضغطت عليها بقوة كما لو كانت تستعد لأن تقول له بعض الأخبار دون أن تتوخى رحمة أو شفقة عليه. وقالت له:

– سأبدأ بشخصيتك ثم أنتقل إلى الماضي، أما المستقبل فإن القانون يحرم علي أن أتكلم عنه. إنك رجل ذو إرادة، وخيالك خصب، وأنت حساس إلى أبعد الحدود. وتشعر أحيانا أن الفرص لم تتح لك بعد

كاملة لإظهار مواهبك، وأنت تريد أن تفعل أشياء عظيمة دون الاكتفاء بمجرد تحقيقها في أحلام اليقظة طوال النهار ولكن لا بأس به فعلى الأقل قد جعلت امرأة ما سعيدة في يوم من الأيام.

وحاول أن يسحب من يده لكنها كانت ممسكة بها في عنف، واستطردت تقول:

– لقد وجدت القناعة والرضا في زواج سعيد موفق. حاول أن تكون صبورا أكثر مما أنت عليه، والآن سأخبرك عن الماضي.

وقال لها مسرعا:

– لا تقولي الماضي بل خبريني عن المستقبل.

وكأنه بهذه الجملة قد ضغط على زر سحري فتوقفت الآلة عن العمل، بالرغم من أنه كان يخشى سماع ما ستقوله، وسحب يده من يدها، وقالت له مسز بليرز:

– إن التعليمات هي كالآتي: إنك تريد الحصول على "التورتة" وعليك أن تقول لهم أن وزنها أربعة أرطال وثمان أوقيات ونصف

وقال لها آرثر:

– هل هذا الوزرن الحقيقي؟

ولم ترد عليه. وأخدته الدهشة، وتساءل: من ذا الذي أعطاها هذه التعليمات؟.. هل هي الأرواح التي تتعامل معها؟ وإذا كانت هي الأرواح،

فلماذا اختارته هو بالذات ليكسب التورتة؟ هل هذا مجرد تخمين وحدس منها؟ وأنها ظلت طوال اليوم تخمن وتحدس الأوزان المختلفة على أمل أن يكسب أحدهم نتيجة حل اسمها فيعطيها بعضا من التورتة. إن تورتة بهذا الحجم تستحق الحصول عليها خاصة في هذه الأيام من أيام الحرب.

وقالت له مسز بيليرز:

– تستطيع ان تذهب الآن .

– أشكرك جزيل الشكر.

وقال آرثر روي محدثا نفسه "على أية حال فليس هنالك ضير من المحاولة مرة ثانية؛ فربما تكون معلوماتها عن وزن التورتة صحيحة"

ورجع آرثر إلى المكان الذي تعرض فيه التورتة، وبالرغم من أن المكان كله قد بدأ يفرغ من الناس إلا أنه وجد بعضهم حول المنضدة التي عليها التورتة. حقا إنها تورتة كبيرة تستحق كل هذا العناء. إنه كان يحب التورتة دائما. وقال للسيدة التي تشرف على هذا الرهان:

– لا شك أنك ستظنينني نهما، لأني عدت أحاول الرهان مرة أخرى.

– لا.. يمكنك أن تحاول.

– أعتقد أن وزن التورتة أربعة أرطال وثمان أوقيات ونصف

وشعر آرثر بسكون تام يخيم على المكان بعد أن قال هذا الوزن، وكأن الناس هنا كانوا ينتظرون طوال هذه الأمسية مثل هذا القول، ولكن يبدو أن أحداً لم يكن يتوقع أن يكون هذا الرجل)) آرثر ((هو صاحب الحل الصحيح. وقالت له المرأة:

- لقد كسبت الرهان إن وزنها أربعة أرطال وثمان أوقيات، والآن فهي لك فخدها، وتمهل في حملها فهي ثقيلة.

ومرة أخرى شعر آرثر بصمت غريب يسود المكان وهو يهم بحمل التورتة، وكلهم جاءوا والتفوا حوله وهو يحملها، وكان بينهم ثلاث سيدات والقسيس الذي ترك اللعبة التي يشرف عليها وجاء ليشترك في المنظر. ورأى قارئة الطالع مسز ببليرز تخرج هي الأخرى من خيمتها وتتطلع إليه.

وقال لهم آرثر روي

- أشكركم... أشكركم كثيراً.

وحمل التورتة واتجه إلى طريق الخروج، ولكنهم كانوا مازالوا من حولها، وتمهل قليلاً لعلهم يفسحون له الطريق. ثم شعر بالقسيس يضع يده على كتفه ويقول له:

- مرحباً بك، مرحباً بك.

وبرغم أن الوقت كان متأخراً وكان كل شئ قد قارب نهايته في الاحتفال بعد أن زحف الظلام، إلا أن رجلاً وقف أمام المدخل وقد نزل

من تاكسي ودفع أجرة دخوله ودخل. واندفع الرجل إلى خيمة قارئة الطالع وكأنه مذنب جاء ليعترف، أو أنه أحد هؤلاء الذين يؤمنون بمسز ببليرز. أو أنه زوج مسز ببليرز جاء ليأخذها إلى البيت بعد أن انتهى الحفل.

وشعر آرثر برغبة تتملكه لمعرفة ما وراء هذا الرجل، فوقف مكانه ينظر ثم تحرك تجاه الباب ليخرج. وقبل أن يصله اقترب منه القسيس وقال له وهو يضحك:

– لا داعي للعجلة والخروج هكذا مسرعاً بهذه الجائزة الكبيرة.

ورد عليه آرثر:

– أظن أن الوقت قد حان للخروج.

وقال له القسيس:

– ألا تشعر برغبة _ كما هى العادة في مثل هذه الحفلات الخيرية _ أن تعيد التورتة إلى مكانها؟

وشعر آرثر بأن نغمة صوته وهو يطلب منه إعادة التورتة كأنه معلم يلقن درسا لأحد الأطفال.

وساءت روى هذه اللهجة وقال له:

– لكن لم يعد هناك أحد في المكان لإعادة الرهان عليها.

وقال القسيس:

– أقصد أن نجرب مزادا عليها فيما بيننا.

ثم ضغط على كتف روي برفق وهو يقول:

– دعني أقدم نفسي لك. اسمي سنكلير. وإننا إذا عرضنا هذه التورتة في مزاد فإن بعض الناس من الحاضرين سيدفع فيها مبلغا كبيرا يخدم أغراضنا الخيرية.

ورد عليه آرثر روي:

– ليست هذه هي وسيلة الحفلات الخيرية، أن تمنعوا من يكسب جائزة من الحصول عليها.

وقال له القسيس:

– إن الانسان لا يذهب إلى حفل خيري لكي يحصل على مكسب. أليس كذلك؟

وكانت لهجة القسيس تنم عن بعض الوقاحة. ورد عليه آرثر:

– إنني لم آت إلى هنا لأكسب، وهاك جنيها مقابل احتفاظي بالتورتة.

ورأى آرثر القسيس يهز كتفيه وهو يواجه الباقين. وقد غلبه اليأس. وكان في هذه الإشارة دلائل القحة الواضحة. وقال آرثر:

– لماذا لم تطلب كتاب "الدوق الصغير" هذا الذي اشتريته فربما تجد أحدا يدفع فيه مبلغا كبيرا هو الآخر؟

وقال القسيس:

– لا أظن أن هناك داع لمثل هذه اللهجة.

وقال روي:

– أسعدت مساءً.

لكن لم يسمح له بالإنصراف، فقد تجمهروا من حوله وأخذوا يؤيدون القسيس. ثم اقتربت منه السيدة المشرفة على الرهان وقالت له:

– لقد تسببت لك في بعض المتاعب.

وقال لها آرثر:

– وهل تريدين أنت أيضا الحصول على التورتة؟

– نعم يجب أن أسترجعها. لقد حدث خطأ في الوزن. إن وزنها ليس كما قلت. إن وزنها الحقيقي ثلاثة أرطال وسبع أوقيات وهذا الرجل الواقف هناك هو الذي كسب.

وأشارت إلى الرجل الذي دخل الحفل أخيرا، والذي أسرع إلى خيمة قارئة الطالع، وقال آرثر:

– وهل أعطى الوزن الحقيقي؟

وردت عليه:

- تقريبا فقد قال أن الوزن ثلاثة أرطال وعشرة أوقيات.

رد عليها روي:

- إذن فأنا أحق منه بهذه التورتة، فلقد خمنت في أول مرة وزنها وقلت أنه ثلاثة أرطال وخمسة أوقيات. فأنا أقرب منه إلى الوزن الصحيح، وهاك جنيها للأغراض الخيرية. أسعدتم مساء..

لقد فاجأهم آرثر هذه المرة فوقفوا لا يجدون جوابا، بل ولم يشكروه على الجنيه الذي أعطاه لهم، وانصرف.

يعيش آرثر روي في شارع جلفورد، ولقد سقطت قنبلة في إحدى الغارات في وسط الشارع فهدمت البيوت على الجانبين، لكن آرثر فضل البقاء حيث هو. إن البيوت من حوله تختفي بعد كل غارة، لكنه بقي في مكانه. ولقد استبدل بزجاج النوافذ عوارض خشبية في جميع الحجرات كإجراء وقائي من الغارات. والأبواب لم تعد تغلق بإحكام نتيجة لما حدث من تصدع في الجدران. وكان في المسكن حجرتان أحدهما حجرة للنوم والثانية للجلوس. ولم يبق في البيت معه سوى مسز بورفيس صاحبة البيت. وقد استأجر الحجرتين مفروشتين ولم يكترث بتغيير فرشهما أو يدخل عليهما أي تعديل. وقد كان شأنه شأن من ينصب خيمة في وسط الصحراء وكانت ممتلكاته من الكتب كتاب "دافيد كوبر فيلد" و"متجر المتنوعات"، ولقد قرأ الكتابين مرات عديدة تماماً كما يقرأ الناس الإنجيل

مرات ومرات إلى أن يستوعبوه. إنه لم يقرأ هذين الكتابين لأنه يحبهما فقط بل لأنه قرأهما وهو صغير، فهما مرتبطان بذكريات الصبا. وكان على الحائط صورة لخليج نابل في ساعة الغروب، ولكنها ليست صورته وإنما هي ملك مسز بورفيس وصور أخرى لمسز بورفيس وهي في ملابس عام ١٩١٤. وفي الحجرة كان هناك مقعد بمسندين كريه المنظر، وعلى المنضدة مفرش سميك. وكلها ممتلكات مسز بورفيس. أما الراديو فإنه قد استأجره. وكان الشئ الوحيد الذي يخصه هو علبة سجائر موضوعة على المدفئة وكذلك فرشاة الأسنان وأدوات الحلاقة.. ووضع آرثر حبوب البروميد المهدئة للأعصاب في علبة في الصوان.

وهكذا أضاف آرثر إلى ممتلكاته هذه التورتة وكتاب "الدوق الصغير" اللذين عاد بهما من الحفل الخيري. ولما عاد إلى البيت، قال لمسز بورفيس:

– لقد كسبت هذه التورتة الرائعة. فهل أجد عندك صندوقاً يتسع لها؟

وقالت مسز بورفيس ولعابها يسيل:

– إنها تورتة كبيرة، ولا شك في هذه الأيام.

إن لعاب مسز بورفيس يسيل دائماً أمام إغراء الطعام؛ فهى تشعر بالجوع المستمر، وفي جميع ساعات النهار تجد فمها ممتلئا بالحلوى، وفي أى وقت تغيب فيه عن البيت تكون واقفة أمام محل لشراء بعض الحلوى وقالت له:

- إن هذه التورتة تزن رطلين ونصف رطل.

ورد عليها روي:

- إنها ثلاثة أرطال ونصف تقريبا.

- لا يمكن أن يكون وزنها ثلاثة أرطال ونصف.

- إذن خذيها وزنيها.

وحملت مسز بورفيس التورتة وخرجت وجلس روي على المقعد ذي المسندين وأغلق عينيه. وقد انتهى الحفل الخيري، وبدا أمامه الأسبوع طويلا مملا لا شئ يشغله. لقد كانت مهنته الصحافة، وكان ذلك منذ سنتين، أما الآن فهو لا يفعل شيئا. إن دخله السنوي الآن أربعمائة جنيها، وهو مبلغ كاف إلى حد يجعله لا يقلق. لقد رفض الجيش أن يلحقه ضمن أفراده. ولم يستطع أن يلتحق بالدفاع المدني، فهم أيضاً رفضوا أن يقبلوه. ولم يبق أمامه سوى مصانع الذخيرة، ولكنها بعيدة عن لندن، وهو لا يستطيع أن يبعد عن لندن. ربما يمكنه أن يتحلل من هذا الرباط الذي يربطه بلندن، لو أن جميع شوارعها وطرقاتها المرتبطة بذكريات صباه تهدمت. إنه يخرج بعد كل غارة ويسير في طرقات لندن، وكلما رأى بيتاً تهدم أو متجراً أو مطعماً اختفى شعر وكأن حائطاً من جدران سجنه قد هوى.

عادت مسز بورفيس تحمل التورتة في علبة وقالت له ساخرة:

– لا تقل إن وزنها ثلاثة أرطال ونصف. لا تصدق هؤلاء الناس إن وزنها أقل من ثلاثة أرطال بقليل.

وفتح آرثر عينيه وهو يقول:

– هذا غريب. هذا غريب حقاً.

ثم طلب منها أن تقطع له قطعة، وتأخذ هي أيضاً قطعة. وقال وهو يتذوق التورتة:

– إنها رائعة. إنها مصنوعة من البيض الحقيقي.

وشعر آرثر بلعاب مسز بورفيس يسيل وهي تنظر إلى التورتة نظرة نهم، فقال لها:

– خذي قطعة أخرى يا مسز بورفيس.

إن آرثر لا يستطيع بطبعه أن يرفض طلباً لأحد. إن أي شخص يستطيع أن يأخذ منه ما يريد بمجرد أن يظهر له هذه الرغبة. إنه لا يطيق أن يرى أحداً يتألم، فمنظر الألم يجعله يفقد صوابه، وعندئذ يفعل أي شئ يطلب منه.

في اليوم التالي جاء رجل غريب إلى مسز بورفيس. وكان الليل قد أرخى سدوله وساد الظلام. وقابله آرثر روي على درجات السلم يتحدث إلى مسز بورفيس بصوت منخفض، بينما أسندت مسز بورفيس ظهرها إلى

الحائط وفتحت فاها مذعورة. وسمع آرثر الرجل الغريب يقول لها: "إنك سترين هذا يوماً ما"

كان الرجل الغريب أسمر اللون قمئ الجسم قزماً وإحدى كتفيه ملتوية نتيجة لشلل أصابه في طفولته.

وقالت مسز بورفيس لآرثر روي، وقد شعرت بارتياح عندما رأته:

إن هذا السيد يريد أن يستمع إلى نشرة الأخبار بالراديو.. فهل تسمح له بذلك؟

وقال روي وهو يفتح الباب:

أدخل.

ودخل الرجل وهو أول زائر يزوره في مسكنه هذا، وارتمى الرجل الغريب على المقعد ذي المسندين وأخذ يمسد صلعته بأصابعه، وأشعل سيجارة من علبته دون أن يقدم العلبة لآرثر وانتشر في الحجرة دخان أسود كثيف. وسأله روي:

- هل تأخذ بعض البسكويت؟

وذهب آرثر إلى الصوان وأخرج منه علبة البسكويت، ووقفت مسز بورفيس في مدخل باب الحجرة وقالت:

- ألا تحب التورتة؟

وقال آرثر:

– أفضل أن نبدأ بالبسكويت.

وقال الغريب:

– إن التورتة في هذه الأيام لا تستحق الأكل.

وقاطعته مسز بورفيس قائلة:

– لكن هذه التورتة بالذات تستحق الأكل؛ إنها مصنوعة من البيض الحقيقي، ولقد كسبها روي في رهان في حفل خيري.

وبدأ الراديو يذيع نشرة الأخبار "سنذيع عليكم نشرة الأخبار، وسيقرأها جوزيف ماكلويد"

ومال الرجل الغريب إلى الوراء وهو ينصت إلى الراديو، وكأنه الشخص الوحيد الذي يعرف ماذا يجري من أحداث. وقال روى معلقا:

– إن نبرات النشرة هذه الليلة متفائلة.

وقال الرجل الغريب:

– إنهم يحقنوننا بهذه النغمة المتفائلة.

وتدخلت مسز بورفيس قائلة:

– ألا تريد أن تذوق التورتة؟

وقاطعها آرثر:

- أعتقد أن هذا السيد يفضل البسكويت.

وقال الرجل الغريب بحدة:

- إنني مغرم بالتورتة عندما تكون جيدة الصنع.

وقال آرثر آمرا مسز بورفيس:

- إذن اذهبي وأحضري التورتة وقدحا من الشاي.

واعتدل الرجل الغريب في جلسته لينتظر وصول التورتة. ولا شك أنه مغرم بها إلى أبعد الحدود، لقد ظل ينظر إليها ويحدق فيها وهي في يدي مسز بورفيس، وقد حبس أنفاسه حتى وضعتها بسلام على المنضدة. ثم جلس في حالة قلق وهو ينظر إليها:

وقال آرثر :

- أحضري سكينا يا مسز بورفيس.

وفجأة انطلقت صفارات الإنذار معلنة غارة جوية. وقال آرثر:

- لا داعي لإحضار السكين فسأستعمل مطواتي.

وأخرج من جيبه آخر ممتلكات صباه، وهي "مطواة" كبيرة، وأخذ يستعرض جمالها أمام الرجل الغريب ويفتح أطرافها المختلفة؛ فهذه بريمة

لفتح الزجاجات، وهذا حد ينفتح بالضغط على مقبض جانبي. وقال للرجل الغريب:

– هناك محل واحد تستطيع شراء مثل هذه المطواة منه، وهو في شارع هيماركسنت.

لكن الرجل الغريب لم يلتفت إلى كلامه. ثم قال له وأصوات صفارات الإنذار لا تزال تدوي:

– أنت وأنا رجلان ذكيان، ونستطيع أن نتكلم بحرية عن بعض الأشياء..

ولم يفهم روي ماذا يقصد الرجل بكلامه هذا، وقطع حبل تفكيره صوت قاذفة قنابل تزأر على ارتفاع ميلين فوق رؤوسهم، وصوت محركاتها يقول "أين أنتم؟. أين أنتم؟" وسمعا صوت مسز بورفيس تنزل درجات السلم مسرعة إلى المخبأ. واستطرد الغريب يقول:

– إن رجالاً مثلي ومثلك لا يحق لهم أن يتشاجروا بسبب بعض الأشياء إذ لا داعي لذلك.

واقترب بمقعده من روي واستطرد يقول:

– إن هذه الحرب تدل على الغباء. وإني أعجب لماذا أنا وأنت ونحن على قدر من الذكاء؟ إنهم يتكلمون عن الديمقراطية أليس كذلك؟..

لكن رجالاً مثلي ومثلك لا يستسيغون مثل هذا الكلام. إنك إذا كنت تريد الديمقراطية _ أقول إذا كنت تريدها _ فاذهب إلى مكان آخر.

ثم قال فجأة: "ماذا تريد؟"

ورد عليه آرثر: "أريد السلام".

وأجاب الرجل الغريب:

- تماماً، وهذا هو ما نريده نحن أيضاً.

وقال روي:

- لا أعتقد أنني أريد هذا النوع من السلام الذي تريده أنت.

ولم يعره الغريب أي التفات، وكأنه لم يسمعه أو كأنه لا يسمع إلا نفسه فقط وقال:

- إننا نستطيع أن نعطيك السلام. إننا نعمل من أجل السلام.

- ومن أنتم

- أنا وأصدقائي..

- من المعارضة؟

- نعم.. وماذا عسانا نفعل؟ دعهم يأخذون بولندا أيضا دون احتجاج... إننا نعرف أن بولندا كانت من أكثر دول أوروبا فسادا.

– ومن نحن حتى نصدر أحكاما؟

– إنك رجل ذكي، ولأول مرة أراك شعرت أنك رجل ذكي، وأنك لست من السوائم التي تساق...

واهتز الغريب في مقعده هزة عنيفة على أثر انفجار قنبلة بالقرب من مكانه، ثم سمع صوت قاذفة القنابل تزأر فوق رؤوسهم "أين أنتم؟... أين أنتم؟" وارتج الباب بعنف. وقال له آرثر:

– هل تأخذ قطعة من التورتة؟

وسمع دوي انفجار قنبلة... إنها قريبة جدا... في نفس الشارع.

– أشكرك.

وأخذ الغريب قطعة من التورتة وأخذ يلوكها في فمه. وعجب آرثر من طريقة أكله؛ فربما هذا نتيجة اضطراب في أعصاب الفم. وظل الغريب ينظر إلى التورتة نظرة غريبة، وازدادت غرابتها وهو ينظر إلى آرثر يقطع قطعة من التورتة ويأكلها، وكان كمنظر رجل جائع يقف من وراء نافذة زجاجية يتطلع إلى ما يقدمه أحد المطاعم من شهي المأكولات، وفي الشارع سمع صوت عربة الإسعاف، ومن فوقهم زأرت طائرة أخرى "أين أنتم؟... أين أنتم؟".. وقال آرثر:

– لقد كنت أحدثك عن هذه المطواة... إنها...

وقاطعه الرجل الغريب ولم يدعه يكمل كلامه عن المطواة وهو يقول:

– تعرف أنه حدث خطأ بالأمس. إن هذه التورتة لم تكن لك.

وقال آرثر:

– ماذا تعنى بذلك؟ لقد كسبتها في الرهان.

– لم تكن أنت المقصود بكسبها في الرهان. قد حدث خطأ في الأرقام..

وقال آرثر

– أظن أن الوقت الآن متأخر للمطالبة بهذه التورتة. لقد أكلنا نصفها تقريبا.

واستطرد الغريب يقول:

– لقد أرسلوني لكي أستعيد التورتة. وسندفع لك في حدود المعقول .

وسأله آرثر:

– من هم هؤلاء الذين أرسلوك؟

وكان آرثر يعلم من هم الذين أرسلوه. إنهم هؤلاء الرعاع الذين تجمهروا من حوله. إنه أمر مضحك حقا. والتفت الى الغريب وقال له:

- ما سبب كل هذا؟ وما هو هدفكم من ورائه؟ إنني لم أر رهانا بسيطا كهذا ينال مثل هذا الاهتمام. وما هي فائدة التورتة لكم الآن ولم يبق سوى نصفها؟

ورأى آرثر الغريب ينظر إليه نظرة بائسة مكتئبة، فقال مخففا عنه:

- أرجو أن تنسى هذا الموضوع. وسأحضر لك قدحا آخر من الشاي.

- لا داعي لذلك فإنني أريد أن أناقش.

وقاطعة آثر

- لم يعد هنالك أي شيء لنناقشه.

- أتقول انه ليس هناك نناقشه؟

- لا شيئ البتة.

- في هذه الحالة إذن...

وسكت قليلا فقد اقترب أزيز إحدى قاذفات القنابل، ثم استطرد يقول "في هذه الحالة إذن سأشرب قدحا آخر من الشاي". وعندما عاد آرثر بقدح الشاي وجده قد قطع لنفسه قطعة من التورتة، وقال الغريب:

- كنت أفكر وأنت خارج الحجرة الآن في أن أمثالنا نحن المثقفين هم وحدهم الأحرار. إننا لسنا مقيدين بالعواطف ولا بالمشاعر الحماسية، وليس لنا أسهم أو سندات، ولا يهمنا أن تغرق هذه السفينة أو لا تغرق.

وقاطعه آرثر متسائلا:

- ولماذا تقول "نحن"

وقال الغريب المشلول:

- لا أرى إشارة تدل على أنك تساهم فيما يجري بأي جهد، ونحن نعرف السبب ولا شك.

وارتشف آرثر رشفة من قدح الشاي، وكان الشاي ساخنا، فقطع قطعة من التورتة وضعها في فمه ليخفف من سخونة الشاي. ورأى الغريب ينظر إليه نظرة كلها تأمل وحذر، وهو يمضغ قضمة التورتة، وكأنه ينتظر شيئا ما سيحدث.

وشعر آرثر وكان عقربا لدغته في كتفه، وانتابه شعور بالدهشة والغضب، وسقط فنجان الشاي من يده على الأرض، ووقف.. ووقف الغريب أيضا وقد مد ذراعه الضخمة.. وسقطت قنبلة على البيت.

إنهما لم يسمعا الطائرة وهي تقترب، وانفجرت القنبلة فجأة، وشعر آرثر بدوار في رأسه، وشعر كأنه يسير وهو نائم وراء كميات كبيرة من الأطباق محطمة على الأرض ورأى صورة خليج نابلي تحت قدميه. وشعر

كأنه رجل غريب في بلدة غريبة وليس معه خريطة لها.. ثم انطلق ضوء باهر ورأى نفسه يعوم في هذا الضوء. تماما كما يجد السجين نفسه وهو يحاول الهرب من سجنه وقد غمره ضوء كشافات الحرس.

ورأى الرجل الغريب وقد سقط على وجهه وإحدى ذراعيه تحت جسمه..

وسمع صوت أحد رجال الإسعاف في الخارج يقول:"هل أصيب أحد؟"

ورد آرثر: "إصابات بالغة".

وسمع الاثنان صوت قاذفة قنابل تقترب "أين أنتم؟ أين أنتم؟"

الفصل الثاني

تحريات شخصية

إن مكتب أورثوتكس للتحريات الشخصية الذي يقع في الشارع شافري لين بالقرب من أحد محلات الكتب القديمة الكبيرة، والذي يعتبر

من أقدم وأهم مكاتب التحريات الشخصية لا يزال قائما في مكانه لم تمسه القنابل. يقع المكتب في الدور الرابع من المبنى، وليس هناك مصعد. وارتقى آرثر الدرج ثم دفع باب المكتب الذي يحمل لافتة كتب عليها "مكتب أورثوتكس" فانفتح الباب، ولم يكن هناك أحد بالداخل. ورأى بقايا قطعة من السجق في طبق على المنضدة إلى جانب دفتر التليفونات.. إن هذا المنظر يوحي بأن المكان قد هجره أصحابه مذ فترة.

انتظر آرثر روي دقيقة ثم تقدم إلى الأمام يستكشف المكان وفتح بابا آخر قابله، ورأى رجلا أصلع الرأس يضع إحدى الزجاجات في مكانها بصوان في الحجرة، وقال روي:

– إنني آسف يا سيدي، فقد بدا لي أن المكان خال ليس به أحد. إنني جئت باحثا عن السيد رينيت.

– أنا السيد رينيت نفسه.

– لقد جئت بناء على توصية من أحدهم.

ونظر الرجل الأصلع إلي روي بمزيج من الشك، وقال وهو يضع الزجاجة التي كانت في يده في مكانها:

– هل يحق لي أن أسأل عن اسم الشخص الذي أوصاك؟

– كان ذلك منذ وقت طويل مضى، واسمه كيزر.

– إنني لا أذكر مثل هذا الاسم.

– وأنا نفسي لا أذكره الآن إلا لماما. إنه لم يكن صديقا لي. لقد قابلته في القطار. وقال لي أنه وقع يوما في مشكله بخصوص بعض الخطابات..

وقاطعه السيد رينيت:

– كان ينبغي عليك أن تحدد موعدا قبل الحضور هكذا.

– إنني آسف. ويبدو لي أنك لا تريد عملاء الآن، ولذلك فاسمح لي بالانصراف

ورد السيد رينيت

– لا، فلا داعي لأن تفقد أعصابك بسرعه هكذا. إنني رجل جد مشغول فأرجو أن تتكلم باقتضاب.

وكانت نغمة كلامه فيها تعال وترفع، وكأنه ليس في حاجة إلى عملاء، وجلس السيد رينيت خلف مكتبه ثم طلب من روي أن يجلس، ثم أخرج ورقة وقلما وقال:

– والآن أبدأ. متي تنبهت في أول مرة إلى وجود خطأ؟

واتكأ إلى الخلف قليلا وأخذ يدس طرف القلم في فمه ثم سأل مره أخرى:

ما اسمك؟ ما هو عنوانك الحالي؟

وعندما قال روي أنه يسكن في بنسيون قال له رينيت:

إنك لا تستطيع أن تكون حريصا في مثل هذا المكان...

وقاطعه روي برما:

أعتقد يا سيدي أنني يجب أن أبدا من البداية

ورد عليه رينيت منفعلا:

- سيدي الفاضل، يجب أن تعرف أنني أعلم كل المقدمات، إنني أمتهن هذا العمل منذ ثلاثين عاما. نعم ثلاثين عاما. وإن كل عميل يعتقد أن حالته فريدة من نوعها. ولكن الحقيقة غير ذلك أن الحالات متشابهة وتتكرر. إن كل ما أطلبه منك هو الإجابة عن بعض الأسئلة. أما الباقي فإنها مسئوليتي أنا وأستطيع أن أكمله بدونك. والآن أجب: متي شعرت بوجود خطا لأول مرة هل هو برود الزوجة؟

- انني لست متزوجا

ونظر إليه رينيت نظرة احتقار. وشعر أنه قد أخطأ ثم سأله:

- هل أخلفت وعدك لها؟ وهل كتبت لها خطابات؟

- إن المسالة ليست إخلاف وعد.

- هل هي مسالة ابتزاز أموال؟

- لا..

وهنا سأله رينيت غاضبا:

– إذن خبرني بحق السماء لماذا أتيت إلى هنا؟ إنني رجل جد مشغول.

ونظر روي إلى حيث يجلس الرجل، وكان واضحا أنه ليس مشغولا بالمرة. فأمامه على المكتب "خانتان" إحداهما مكتوب عليها بوستة الصادر والأخرى بوستة الوارد، ولكن "الخانتين" كانتا فارغتين، وشعر روي بالإشفاق على هذا الرجل. لقد أراد رينيت أن يمثل على روي، الا أنه لم ينجح. وقال روي:

– ألا يأتي أحد إلى هنا إلا بسبب الطلاق أو الإخلاف بالوعد؟

ورد عليه رينيت:

– إن هذا المكان له احترامه وله تقاليده. إنني لست شرلوك هولمز.. إنك لا تتوقع في هذا المكتب أن تجد رجلا قد انحنى على ركبتيه وأمسك بعدسة مكبرة وأخذ يتفحص الأرض بحثا عن بقعة دم؟ فإذا كنت في مشكلة من هذا النوع فاذهب إلى قسم البوليس..

وقال له روي

– انصت إلي.. أرجوك أن تكون معقولا. إنك تعلم أنك تحتاج إلي، وأنا أيضا محتاج إليك. إنني سأدفع مبلغا طيبا. فكن معقولا ولنشرب بعض المشروبات سويا. إن هذه الغارات الجوية قد أنهكت أعصابنا.

وبدأ الغضب يزول من وجه السيد رينيت، ومسح بيده على صلعته وقال:

– ربما تكون على صواب. إنني لا أرفض الشراب، وأشرب لمجرد تنشيط الذهن فقط.

– إننا جميعا نحتاج لما ينشط أذهاننا

– لقد كانت الغارة الجوية في منطقة بيودلي بالأمس قاسية ورهيبة

– لقد انفجرت قنبلة أمس في المكان الذي كنت أسكن فيه.

– كم هذا قاس..

وبدأ رينيت يشعر بالتقارب من روي، بعد أن ذاب الجفاء الذي نشب بينهما وقال:

– أعتقد أنني كنت فظا بعض الشيئ. إن الغارات الجوية قد أثرت على أعصابنا. إن الحرب تعيق مهمة مثل هذا المكتب، إن الناس لا يذهبون إلى الفنادق الآن، بل يكتفون بالعربات وهذه الحالات لا يمكن إثباتها.

– لا شك أن الحالة أصبحت صعبة الآن.

ورد رينيت.

– إنها مسألة صبر.. يجب علينا أن نصبر إلى أن تنتهي الحرب.. وبعد الحرب سيكون هناك طوفان من الطلاق والإخلال بالوعد، إن مكتبا كهذا له تقاليده وله سمعته الراسخة، سيزدهر عمله بعد الحرب.. وسيكون منجما من ذهب. أو هكذا أمني نفسي.

أنصت روي إلى السيد رينيت كعادته دائما في الإنصات، وأخذ كلامه مأخذ الجد كعادته، ثم قال:

– إن عالم ما بعد الحرب سيكون عالما غريبا، وستقع فيه أحدث غريبة. كما أن العالم في هذه الحرب تقع فيه أحداث غريبة، ولذلك جئت أنا هنا.

وقال رينيت:

– سندخل في موضوع مشكلتك بعد الانتهاء من هذا الكأس

وأفرغ رينبت الكأس في جوفه، ثم قال:

– والآن خبرني ما هي مشكلتك؟ وتكلم كأني من أخلص أصدقائك

وبدأ روي:

– لقد حاول أحدهم قتلي.. قد لا يبدو الأمر مهما، وكل يوم يقتل الكثيرون بسبب الغارة الجوية، لكن هذا الأمر أثار غضبي.

ونظر إليه رينيت من خلف نظارته وسأله:

ألم تقل أنك متزوج؟

ورد عليه روي:

ليس هنالك امرأة في هذه المشكلة.. إن المشكلة بدأت "بتورتة".

وأخذ روي يشرح لرينيت قصة التورتة وما حدث في الحفل الخيري حتى وصل إلى زيارة الغريب في مسكنه وشربه الشاي معه أثناء الغارة الجوية ثم قال:

- لقد كان الشاى له مذاق غريب.

وقال له رينيت

- ربما هذا مجرد وهم

- ليس وهما، فإن مذاق الشاي كما لو كان فيه به مادة "الهايسكين" السامة.

وسأله رينيت:

- وهل مات الرجل الغريب؟

- لقد حملوه الى المستشفى. وعندما ذهبت إلى المستشفى لأسأل عليه أخبروني أن بعض أصدقائه جاءوا وأخرجوه من المستشفى.

وقال رينيت:

– لا شك أن عنوان الرجل واسمه قد قيدا بسجلات المستشفى.

– لقد وجدت اسمه وعنوانه في سجلات المستشفى، وبحثت عن هذا العنوان في دليل لندن فلم أجده.

ولم يبد على وجه رينيت أية علامة للاندهاش أو للتعجب، بل قال:

– هنالك عشرات التفسيرات لمثل هذا التصرف، وربما قد عرض عليك مبلغا كبيرا من المال مقابل استرداد التورتة، وقد يقول لك أن هنالك شيئا ثمينا مخبئا في داخل التورتة..

وقال روي:

– أتقول ربما يكون هناك شيئ ثمين قد خبئ في التورتة؟

– نعم فربما فيها خريطة لكنز على سواحل أيرلندا، أو شيء شاعري آخر

– إن الأمر يزداد غرابة...

واستطرد رينيت:

– إنني أفضل التفسيرات المباشرة.. فربما يكون هناك خطأ حقيقي وقع في وزن التورتة، وربما يكون في داخل التورتة نوع من المكافأة.

وقال روي:

- ألم تقابل في أثناء عملك هذه السنين الطويلة جريمة قتل أو قاتل؟

- صراحة لا.. إن الحياة ليست قصة بوليسية، والقتلة الناس نادرو الوجود وهم يشكلون طبقة خاصة قليلة ونادرا ما تقابل قاتل. وهم من الطبقة الدنيا من الناس.

وقال روي:

- ربما كان يجب أن أخبرك أني قاتل

وضحك السيد رينيت باكتئاب "ها... ها... ها..." واستطرد روي يقول:

- وهذا هو سبب غضبي... إنهم قتلة هواة فكيف يتجرؤون على الاقتراب مني.

وسأله رينيت وعلى وجهه ابتسامة باهتة حزينة:

- وهل أنت قاتل محترف؟

ورد عليه روي:

- نعم أنا كذلك؛ فقد أخذت أفكر وأدبر لمدة عامين قبل أن أقتل . وقد كنت أحلم بما سأفعله كل ليلة ثم أخيرا أخذت السم من الصوان، ثم بعد ذلك أخذوني إلى المحاكمة، وجلست أرقب المحلفين وهم يتداولون فيما

بينهم بينما كان الحارس يقول لى كلمات تشجيع، وكان الحكم الوحيد الذي كنت توقعه كان هنالك عدل حقا..

وهنا قاطعه السيد رينيت وقد وقف يقول:

أستأذنك في دقيقة واحدة فإني أعتقد أن مساعدي في العمل قد عاد.

وخرج رينيت من الحجرة بسرعة عجيبة، بينما ظل روي جالسا في مكانه، وقد عقد يديه حول ركبتيه وهو يحاول أن يعقد لسانه عن الاسترسال في الكلام ويقول لنفسه "رباه أغلق فمي عن الكلام، وضع صماما على شفتي فلا تنفرجان بالحديث" وسمع صوت السيد رينيت في الحجرة المجاورة وهو يلف قرص التليفون وكان بابها مفتوحا ورآه روي وهو ينظر إليه، وينظر إلى قطعة السجق التي في الطبق وكأنها السلاح الوحيد الذي في متناول يده الآن.

وسأله روى:

– هل تطلب البوليس؟ أم تطلب طبيبا؟

وقال رينيت وعلامات اليأس ترتسم على وجهه وصوته:

– إننى أطلب أحد المسارح فلقد تذكرت زوجتي الآن. وهل أنت متزوج بالرغم من كل ما مر عليك من خبرات؟

– نعم..

ثم وجه كلامه إلى سماعة التليفون "أوجو احجز مقعدين في الصف الأمامي". ثم وضع السماعة مكانها. وسأله روي:

– إنه أحد المسارح؟

– نعم أحد مسارح.

– ولكنك لم تعطهم اسمك. أفلا تكون معقولا؟ وعلى أية حالة يجب أن تعرف كل شيء فربما وضعت المسألة موضع الاعتبار اذا ما وافقت على مساعدتى.

– موضع الاعتبار؟

– أقصد أنها قد تتقيد. لقد اكتشفت ما سأقوله لك أثناء محاكمتى لقد تناولت يوما طعام الغذاء بمفردى في أحد مطاعم هولبورن، وسألني المحلفون لماذا كنت بمفردى؟ فقلت لهم أنني أحب أن أكون بمفردي أحيانا، وهز المحلفون رءوسهم. وكنت حقا أريد أن أكون بمفردي..

وازدرد رينيت لعابه بصعوبة وهو ينصت.. واستمر روي:

– لقد كانت زوجتي تحب الطيور.

– وهل أنت متزوج؟

– كنت قبل أن أقتلها.

ورأى روي الرعب يرتسم على وجه رينيت فقال له مطمئنا إياه:

– إن الشرطة تعرف ذلك

– وهل برءوك؟

– لقد احتجزوني بعض الوقت، ولكنه وقت قصير. إنني لست مجنونا به ولكنهم أرادوا أن يجدوا تبريرا لسراحي.. لقد شعروا بالشفقة علي

وحرك روي يده أمام وجهه كما لو كان يزيح نسيجا لعنكبوت قد نسج خيوطه فوق وجهه واستطرد:

– إن الصحافة قالت وقتئذ أن الجريمة جريمة رحمة وشفقة ولكنهم لم يقولوا أي رحمة بالنسبة لها أم بالنسبة إلي وأنا نفسي لا أعرف الآن.

وقال رينيت وقد لهثت أنفاسه وتلاحقت:

– لا أظن أن في استطاعتي أن أفعل شيئا... إن هذا الأشياء ليست من اختصاص المكتبة

وقال روي:

– ولكني سأدفع كثيرا.. إن هذا هو ما تطلبونه دائما؟

ورأى رينيت يستسلم له

الفصل الثالث

هجوم أمامي

خرج روي من مكتب أورثوتكس للتحريات الشخصية وتوجه فورا الى مقر "الأمهات الأحرار"، وكان قد وقع عقدا مع رينيت أن يدفع له خمسين جنيها في الأسبوع ولمدة أربعة أسابيع يقوم خلالها مكتب أورثوتكس باجراء بعض التحريات. لقد قال له رينيت أن التكاليف ستكون باهظة ذلك لأنه يستخدم أكفأ الموظفين. وقدم له رينيت الشخص الذي سيكون في خدمته، ولم يذكر اسمه في أول الامر بل قال وهو يقدم أنه "١ ٠ ٢" ولكن رينيت في وسط الكلام نسي ذلك وقال إن اسمه جونز. لقد كان جونز ضئيل الجسم ومنظره غير مقنع فقد كانت أنفه مدببة وعلى رأسه قبعة بنية اللون وسترته رمادية اللون الآن، ولكنها توحي بأنها كانت ذات لون مختلف منذ سنوات مضت. كانت هذه هي الانطباعات الإولى لمنظر جونز أما في النظرة الثانية له فإن المرء يشعر ببعض الثقة في خبراته فإن عينيه الواجفتين الخبيثتين وتجاعيد جبهته وفمه الرقيق كلها تشير إلى ما واجهه من مآزق في عمله وما عاناه من عنت أصحاب الأعمال، لكن جرائم القتل لها نوع آخر من الخبرات.

ووقف جونز بينما كان رينيت يتناقش مع روي، وكأن الامر لا يعنيه. أما رينيت فكان يعتقد أن هذه التحريات التي يطلبها روي إنما هي من

قبيل النزعات في عقل مهتز مختل التوازن، ولذلك فقد طلب من روي ألا يتدخل في شيئ ويترك الأمور كلها في يد "٢٠١"

ولم يكن رينيت يعتقد لحظة واحدة أن حياة روي مهددة بالخطر، وقال محدثا روي:

- إننا سنبحث في كتب السموم عن هذا السم الذي ذكرته، ولكني أعتقد أننا لن نجد له أثرا.

وقال روي

- إن محاولتهم قتلي أثارت غضبي.. إنهم حاولوا معي بنفس السم الذي استعملته معها.. وكان هدفهم من ذلك أن تظهر الجريمة في صورة انتحار، وإني احتفظت ببعض السم معي طوال هذا الوقت بعد قتلها.

وقال رينيت:

- إذا كان كلامك صحيحا فإن معناه أنه قد وقع خطأ، وأنك لم تكن المقصود بالحصول على التورتة. ومعنى ذلك أن هناك شخص آخر هو الذي كان مقصودا أن يحصل على التورتة. وعلينا ان نبحث عن هذا الشخص الآخر. وإنه لأمر غاية في السهولة فأنا وجونز نعرف كيف نقتفي أثر الناس. وسنبدأ مسز ببليرز. إنها أخبرتك بالوزن الحقيقي ولكن لماذا أخبرتك أنت بالوزن؟ الرد على ذلك أنها اخطأت وظنتك الرجل المقصود. ويعني ذلك أن هناك تشابها بينك وبين الرجل المقصود، ولم تستطع مسز

ببليرز في ظلام خيمتها أن تلحظ أنك لست الرجل المقصود. وأمامنا الآن معرفة مكان مسز ببليرز، وسيقوم جونز بذلك.

قال روي:

– أظن أن من الأسهل السؤال عنها في مقر "الأمهات الأحرار"

– أنصحك أن تدع جونز يعول بهذه المهمة فليس من الصواب أن يقوم العميل بالتحري.

وقال روي:

– إذا كانت قصتي غير حقيقة فإنهم سيعطونني عنوان مسز ببليرز إما إذا كانت قصتي حقيقية فإنهم سيحاولون قتلي ذلك لأني أعرف أن هناك تورتة" وأن هناك بعض الناس كانوا يريدون الحصول عليها، وهنا تبدأ مهمة جونز وهي مراقبتي.

وأزاح جونز قبعته إلى الوراء ونظر إلى رينيت، وسأله رينيت:

– ما رأيك يا "٢٠١" ؟

وقال جونز:

لا فائدة من ذلك فليس هذا هو أسلوب العمل السليم

وقال رينيت:

وأنا أتفق مع جونز في الرأي.

ولكن معارضتهما لم تغير من رأي روي الذي لم يعبأ بهما.. وسار روي في طرقات لندن التي هدمتها الغازات الجوية، وشق طريقه بين هذا الحطام، وكان هو نفسه حطاما.. إنه لم يعد جزءًا من ذلك الماضي، ذلك الماضي بأيامه الجميلة في الريف وأمسياته الضاحكة وذكريات الطيور، وهي تطير وتقف في سلام على أسلاك التلغراف.. لقد انتهى السلام في اليوم الواحد والثلاثين من شهر أغسطس، إنه لم يكن مجرما عندما قتلها.. لكنه بعد ذلك اعتاد فكرة الجريمة، وعجب كيف يجرؤ هؤلاء على التفكير في قتله وهو الذي نجح في تحطيم الجمال والطيبة والسلام في ضربة واحدة.. إنه كثيرا ما يعتقد أن جرائم الدنيا كلها هي جرائمه. وأحيانا ما كان يشعر بغباء فعلته، ويشعر عندئذ برغبة ملحة في الانزواء بعيدا والبكاء.. وأحيانا يسمع صوتا يهمس في أذنيه يقول له "إنك تقول إنك قتلتها رحمة بنفسك؟ لماذا لا تقول إنك وجدت من السهل أن تقتلها هي بدلا من أن تقتل نفسك؟"

تحتل جمعية "الأمهات الأحرار" شقة في الدور السابع من مبنى ضخم في شارع ستراند. واستقل روي المصعد حتى الدور السابع، وفي مدخل الشقة وجد امرأة تجلس وراء مكتب كتب عليه "استعلامات جمعية الأمهات الأحرار"

وبدأ روي يؤمن بأن رينيت كان على حق فإن هذه المرأة الجالسة أمامه لا تدل على أي فساد أو انحراف. وكانت تضع على صدرها شارة تدل على أنها تقوم بعملها هذا دون أجر وتطوعا.

وقالت له هذه المرأة:

- ماذا تريد؟

وحاول أن يتذكر ما قاله الرجل الغريب له عن التورتة وأنه ليس هو المقصود بالحصول عليها.. وحاول أن يتذكر مذاق الشاي، ذلك المذاق الذي أرقه الليالي الطويلة

وكررت المرأة سؤالها:

- ماذا تريد؟

- جئت اسال عن عنوان واحدة اسمها مسز ببليرز.

- لا توجد امرأة بهذا الاسم تعمل هنا.

- إن لها علاقة بالحفل الخيري.

- إنهن متطوعات ولا يمكننا أن نكشف عن عناوين المتطوعين لخدمة الجمعية.

- لقد حدث خطأ وأعطوني تورتة ليست لي.

- سأسأل لك عنها.

وقامت من خلف المكتب ودخلت إحدى الحجرات، وبدأ يسائل نفسه هل تصرفه هذا سليم. أما كان يجب عليه أن يحضر معه "٢٠١" لكن الأمور تسير سيرا طبيعيا لا غبار عليه، وهو وحده غير طبيعي.

وعادت المرة من الداخل وقالت له:

– هل تسمح بالدخول؟

ودخل وراءها. ورأى فتاة تجلس إلى مكتب. إن لون شعرها وحجم جسمها الضئيل جعله يتردد في مشيته.. "ولم يكن هناك أي تشابه آخر" بين هذه الفتاة وبينها.. ثم بدأت الفتاة تتكلم، وأدرك للتو أنها أجنبية.. وقالت له؟

– لقد أتيت من أجل تورتة؟

وأخذ يرقبها إنها تشبهها تماما مع فارق واحد هو أن هذه الفتاة على قيد الحياة والأخرى ميتة. قال:

– لقد جاءني رجل ليراني في البيت وأعتقد أنه مرسل من قبل هذا المكتب.. لقد كسبت تورتة في الحفل الخيري ولكن يبدو أنه كان في الأمر خطأ

وقالت الفتاة:

– لا أفهم ما يقول

وقال روي:

– لقد سقطت قنبلة على البيت قبل أن أستطيع معرفة ما يريد الرجل أن يقول لي.

– لكننا لم نرسل أي شخص من هذا المكتب. خبرني ما شكل الرجل؟

– إنه ضئيل الجسم أسمر اللون معوج الكتف أو مشلول.

وقالت الفتاة:

– ليس هنالك رجل بهذه الأوصاف في هذا المكتب.

– أعتقد أنني لو استطعت مقابلة مسز ببليرز...

وقالت الفتاة:

– إنهن كلهن متطوعات وعلى أي حال أعتقد أني أستطيع الحصول على عنوانها من الذين نظموا الحفل. ولكن هل الموضوع بهذه الأهمية؟.

وكانت هناك ستارة تقسم الحجرة إلى نصفين، وكان يعتقد أنهما لوحدهما في الحجرة، ولكن بينما كانت الفتاة تتكلم ظهر رجل من خلف الستارة، وكانت قسمات وجهه مشابهة للفتاة. وقدمته الفتاة لروي قائلة "هذا هو أخي" وقالت موجهة كلامها لأخيها.

– لقد زار رجل السيد روي في بيته بخصوص تورتة كسبها في الحفل الخيري ولكني لا افهم تماما ما يعنيه السيد روي.

وقال الرجل بلهجة إنجليزية سليمة:

– فلنرى من يكون هذا الرجل.

وكان الرجل واقفا وقد أسند يده برفق على كتف أخته. واستطرد الرجل يقولل:

– هل الذي زارك من أبناء وطنك يا سيد روي؟ إننا معظمنا هنا في هذا المكتب من الأجانب...

ثم استطرد وهو يبتسم:

– إذا كان ضعف الصحة أو اختلاف الجنسية تحول دون اشتراكنا الفعلي في الحرب في صفكم أنا وأختي نشترك في هذه الأعمال في خدمة ضحايا الحرب. إننا من النمسا.

– إن الرجل الذي زارني إنجليزي الجنسية.

– لا شك أنه أحد هؤلاء الذين يتطوعون لخدمة أغراض الجمعية، وإنني لا أعرف أسماءهم. فهل أتيت لتعيد التورتة التي تقول إنك كسبتها دون وجه حق؟

– لقد جئت أسأل عن موضوع هذه التورتة

– إنني لو كنت مكانك يا سيد روي لما اهتممت كل هذا الاهتمام. وكل ما يمكن أن أفعله عندئذ أن أحتفظ بالتورتة.

– إن المشكلة هي أنه ليس هناك تورتة الآن. فلقد سقطت قنبلة على بيتي ليلة أمس.

– إني آسف لما حدث لبيتك. وأعتقد أن التورتة لم يعد لها قيمة بعد ما حدث

وقالت الفتاة:

– لو أني مكانك لما تكبدت كل هذه المتاعب

وأخذ روي يراقبها مترددا.. إن الحياة دون ثقة لا تساوي شيئا إن معناها أن يصبح الإنسان حبيساً لأقسى أنواع السجون، أن يكون حبيساً داخل زنزانة نفسه.. ثم تأتي لحظة يشعر فيها الإنسان أنه يجب أن يحطم أغلال نفسه، وينطلق مهما كانت المخاطرة وأنه الآن يشعر بهذه الرغبة.. الرغبة في أن يتحرر وينطلق من عقال نفسه. إن هذين الشخصين قد عاشوا في وسط الرعب ولكنهما خرجا من المعركة دون أن تتحطم نفسيتهما. وقال:

– الواقع هناك أمر آخر يقلقني غير التورتة .

ونظر الاثنان إليه نظرة تتسم بالصراحة وبالود.. وإن الرائي ليشعر أنهما بالرغم من المتاعب التي مرا بها فإنهما ما زالا يحتفظان ببريق الشباب، فهما لا يزالا يأملان في الحياة خيراً ويعتقدان أن الأيام ستعطيهم يوماً أشياء غير تلك التي أعطتها لهما حتى هذه اللحظة من ملل وألم وكراهية وشك، وقال له الرجل:

– ألا تجلس وتقص علينا قصتك ؟

إن منظرهما وهما يطلبان منه ذلك ذكره بالأطفال والصبية عندما يجتمعون لسماع قصة مثيرة، وقال روي:

– إنني أشعر أن هذا الرجل الذي أتى إلي ليأخذ التورتة كان في نيته استعمال العنف إذا اقتضي الأمر

ثم حدثهما عن المذاق الغريب في الشاي.

والتمعت عينا الرجل وهو ينصت إلى روي وقال له

– إن قصتك شيقة للغاية.. ولكن هل تستطيع أن تخمن من الذي وراء كل هذا؟ ولماذا أدخلت مسز ببليرز في الموضوع ؟

وتمنى روي لو أنه لم يذهب إلى مكتب أورثوتيكس للتحريات الشخصية فهذان الشخصان هما أصدقاؤه وهما على استعداد لمساعدته، وأنهما ولا شك أفضل من رينيت وجونز. وقال روي:

– إن مسز ببليرز هي التي قرأت لي الطالع وأخبرتني بوزن التورتة، ولكن الوزن لم يكن صحيحاً

وقال الرجل متحمساً:

– إنه لأمر غاية في الغرابة

وقالت الفتاة:

– إن ما تقوله لا معنى له..

ثم أردفت تقول تماما كما قال رينيت من قبل "ربما تكون المسألة مجرد خطأ"، وردد الرجل

- ربما تكون المسألة مجرد خطأ

ثم أضاف مقدماً نفسه:

- أنا اسمي هيلف، وأختي اسمها آن هيلف

وقال روي:

- يبدو أن أختك لا توافقني على رأي

وقال هيلف:

- إنها دائماً هكذا ولكنها تقتنع في نهاية الأمر. إنها تعتقد أنني خيالي.. إنها تخرجني دائماً من المآزق.. وهي التي أخرجتني من النمسا، ولكن هذه القصة لا تهمك في شيئ، ولنعد إلى موضوعنا الرئيسي. فهل نبدأ بمسز بيليرز؟ وهل كونت رأياً عن هذا الموضوع؟ وسأحاول أن أجد عنوان سكنها من أرشيف المتطوعات..

وفتح هيلف بابا مجاورا ونادى "عزيزتى مسز ديرمودي هل تستطيعين أن تبحثي لنا عن عنوان متطوعة اسمها مسز ببليرز ؟" ثم نظر إلى روي وقال له:

- إن البحث عن عنوانها أمر صعب فربما تكون صديقة لإحدى المتطوعات، وهي ليست مسجلة عندنا كمتطوعة

ثم وجه كلامه إلى مسز ديرمودي داخل الحجرة: "حاولي أن تجدي العنوان عند كانون توبلنج"

وكلما زاد حماس هيلف كلما زادت حيرة روي، وكلما بدت المسألة أكثر غرابة. وابتدأ روي يرى ما كان رينيت يراه في الموضوع، ثم قال لهيلف:

– ربما تكون أختك على صواب

وقال هيلف:

– ربما. حقا ربما. ولكني أعتقد أن هناك مؤامرة خطيرة

وأطلت مسز ديرمودي من الحجرة الأخرى وقالت:

– لقد أعطاني كانون توبلنج العنوان. إنه: ٥ شارع بارك كريسنت.

وفي تلك اللحظة كان هيلف يطل من النافذة على الشارع ثم قال لروي:

– تعال هنا لحظة.. هل ترى هذا الرجل الضئيل الجسم الواقف هناك، والذي يضع على رأسه قبعة بنية اللون؟ أنه واقف في مكانه هذا منذ اللحظة التي دخلت أنت فيها هذا المبنى. إنه يقطع الطريق ذهاباً وإياباً، ويتظاهر بأنه يشعل سيجارة. إنه يفعل ذلك مرات عديدة، وهذه الصحيفة التي في يده هي ثاني صحيفة مسائية يشتريها منذ وقوفه هنا. ويبدو أن هذا الرجل يراقبك

وقال روي:

– إني أعرفه. إنه بوليس سري خاص، ولقد استأجرته لكي يراقبني.

وقال هيلف:

– بحق السماء إنك تأخذ المسألة مأخذ الجد. إننا أصدقاء الآن ولا أعتقد أنك تشك فينا

وقال روي:

– هناك شيئا لم أذكره بعد...

واقترب هيلف من أخته ووضع يده على كتفها وأنصت في كثير من القلق والاهتمام إلى ما سيقوله روي، وقال روي:

– أعتقد أنه كان هناك شيء في التورتة

– ماذا تظن؟

– لا أعرف، لكن الرجل الأحدب الذي زارني كان يمضغ كل قطعة يأكلها من التورتة بحذر شديد

وقالت آن:

– ربما تكون هذه عادته في الأكل

ورد هيلف محاولا إغاظتها:

– أتقولين عادته؟!

وقالت آن:

– إنها قد تكون إحدى عادات هؤلاء الإنجليز.

وحاول روي أن يشرح لها:

– إن الأمر لم يكن يعنيني. ولم أكن أريد التورتة، ولكنهم حاولوا قتلي.. إني على يقين من أنهم حاولوا قتلي. قد يبدو الأمر غريباً الآن وأنا أحدثك في وضح النهار لكن هذا ما حاولوه.. إنك لو رأيت هذا الرجل الأحدب وهو يرتشف الشاي أو وهو يمضغ قطعة التورتة ويتأملني...

وقالت آن:

– وهل تعتقد أن الأصدقاء ومعارف كانون توبلنج يمكن أن يكون منهم من يحاول...

وقال هيلف:

– لا تنصت إليها. وإني أعجب لم لا يكون بين أصدقاء كانون توبلنج قتله. إن القتلة لا ينتمون إلى طبقة معينة.. إننا في النمسا كنا نرى مجرما يخرج من بين طبقة المثقفين. وقد يكون الشخص ذو سمعة طيبة ولكنه ينقلب إلى قاتل.

وقال روي:

– إن رينيت، صاحب مكتب أورثوتكس للبوليس السري الخاص قال لي اليوم أنه لم يقابل قاتلاً في حياته أبداً، وقال أنهم نادرون الوجود وهم من حثالة الناس

وقال هيلف:

– حقاً إنهم من حثالة الناس في هذه الأيام. إنني أعرف على الأقل ستة، وكان أحدهم وزيراً، والآخر أخصائي أمراض قلبية، والثالث مديراً لبنك..

وقالت آن ناهرة:

– كفى.. أرجوك أن تكف.

وقالت موجهة كلامها إلى روي، وهي تنظر إليه في إشفاق وعطف:

– لا ينبغي أن تستمتع إلى ما يقوله..

وقال هيلف:

– لا شك أنني أبالغ، ولكنك في هذه الأيام يجب أن تتوقع مقابلة المجرمين في كل مكان. إنهم هم أيضاً يعتقدون أنهم ذوو مبادئ، بل وأحياناً ما يبررون جريمتهم بأنهم ارتكبوها مدفوعين بدافع الرحمة.

ونظر إليه روي لكنه لم يلحظ في وجهه وعينيه أنه يلمح إليه في هذا الكلام وقال له:

– هل تقصد بذلك البروسيون أو النازيون أو الفاشست.. أو الحمر أو البيض؟

وقال هيلف:

– وماذا تعتقد في تفسير موضوع التورتة؟

– أظن أنها كانت تحوي رسالة .

ونظر هيلف إلى أخته وتبادلا نظرات ذات معنى، ثم قال هيلف:

– سأذهب معك إلى مسز ببليرز

وقالت آن موجهة كلامها إلى أخيها:

– أنت لا تستطيع أن تترك المكتب الآن، وسأذهب أنا معه بدلاً منك. هل نسيت أن معك موعداً الآن؟

وقال هيلف:

– نعم إنه الموعد مع السيد ترينش، وتستطيعين أنت يا آن أن تقابليه بدلا مني. إن هذا الموضوع مهم جدا وربما سيتمخض عن بعض المتاعب.

وقالت آن:

– يمكننا أن نأخذ معنا البوليس السري الواقف في الخارج والذي يستخدمه السيد روي.

وقال هيلف:

– إنكما إذا ذهبتما ومعكما البوليس السري فلن تصلا إلى شيء. إننا يجب أن نشق طريقنا في هدوء.

وقالت آن:

– لكني لا أعرف ماذا تريد أن تقول للسيد ترينش.

– قولي له أننا سننهي كل شيء في بداية الشهر القادم.

– ولماذا لا تترك السيد روي يذهب بمفرده؟.

وظن روي أنها تقول هذا خوفا على أخيها من المتاعب.

وقال هيلف لروي دون أن يعبأ بكلام أخته:

– دقيقة واحدة يا سيد روي.. سأكتب رسالة أتركها للسيد ترينش.

واختفى هيلف في الحجرة الأخرى لحظة.

وخرج الاثنان من الباب الخلفي، وكان من السهل الهروب من جونز بهذه الوسيلة هذا فضلا عن أن جونز لم يكن يتخيل أن روي الذي يدفع أجره سيحاول الهروب منه.

واستقل الاثنان "تاكسي" وابتعد وهما يرقبان جونز واقفا في مكانه كالكلب الأمين. وقال روي:

– كنت أفضل أن نأخذه معنا.

وقال هيلف:

– لا.. وسنعود له بعد قضاء مهمتنا.

الفصل الرابع

أمسية مع مسز ببليرز

إن بيت مسز ببليرز من البيوت التقليدية العتيقة. وفتحت الباب خادمة ترتدي رداءً أبيض اللون، وتلف حول رأسها وشاحا أبيض اللون كذلك. وكان منظرها هكذا مما أثار دهشتهما. وبالرغم من أنها في عمر البيت إلا أنها كما يبدو تحاول أن تظهر أكثر من عناية بكيانها. وبدا وجهها وعليه بودرة التلك وكأنه وجه راهبة. سألها هيلف:

– هل مسز ببليرز موجودة؟

ونظرت اليهما الخادمة العجوز نظرة جامدة وقالت.

– وهل معكم موعد معها؟

وقال هيلف:

– لا. ولكني صديق لكانون توبلنج.

وقالت الخادمة:

– إن هذا المساء هو أحد أمسيات الجلسات الروحية.

ورد هيلف

– لم أكن أعرف..

– فإذا لا يكون واحدا من المجموعة..

وفيما هم يتحدثون هكذا أقبل رجل أشيب الرأس تعلوه هالة من الوقار. وما أن رأته الخادمة حتى قالت له "أسعدت مساء يا سيدي.. يمكنك أن تدخل". وكان واضحا أن الرجل من المجموعة. إذ قادته الخادمة إلى حجرة على الجانب الأيمن وسمعاها وهي تعلن مقدم "الدكتور فورستر" ثم عادت إليهما مرة أخرى. وقال لها هيلف:

– ربما إذا ما أعطيت اسمي لمسز ببليرز لأذنت لنا بالانضمام إلى المجموعة. إن اسمي هو هيلف –صديق لكانون توبلنج.

وقالت الخادمة:

– سأسألها أولا.

وجاءت النتيجة طيبة، فقد أقبلت مسز ببليرز تتبختر مرحبة بهما وتقول "إن جميع أصدقاء كانون توبلنج أصدقائي"

وقال هيلف مقدما نفسه:

– إن اسمي هيلف من جمعية الأمهات الأحرار، وهذا السيد روي

وراقبها روي لعلها تتعرف عليه، ولكن لم يبد منها أنها عرفته. فقد كان وجهها الأبيض يعيش في عالم آخر غير هذا العالم.. وقالت مسز ببليرز:

إننا نرحب بأي أصدقاء جدد للانضمام إلى المجموعة بشرط أن ألا يكون من المعادين لهذه الجلسات.

ورد هيلف:

لا... لسنا كذلك.

وسارت أمامهما إلى حجرة أسدلت عليها ستارة برتقالية اللون ووسائدها زرقاء اللون. وطليت نوافذها باللون لمنع تسرب الضوء إلى خارج، فكان منظر الحجرة كقهوة شرقية. وكان هناك في الحجرة ستة أشخاص. وقد استرعى أحدهم التفات روي أنه رجل طويل القامة عريض المنكبين أسود شعر الرأس.

وقالت مسز ببليرز تقدم الضيوف لهذا الرجل:

- يا سيد كوست هذا هو السيد...

وأكمل لها هيلف الجملة: "السيد روي"

وهناك مس بانتيل، امرأة في متوسط العمر سمراء اللون، ذات عينين نهمتين. وهناك السيد نيوي وكان يرتدي في قدميه صندلا بدون جوارب. وهناك السيد مود رجل قصير النظر في مقتبل العمل وكان ملتصقا طول الوقت بالسيد نيوي ويطعمه من آن لآخر بقطع الحلوى الموجودة أمامهم. وهناك أيضا السيد كوليبرة. وعنه قالت مسز بتليرز همسا في أذن روي "إنه كاتب وقد نشر كتابا عن الشعر الروماني"

واحتسى الجميع أقداح الشاي الصيني الخفيف، ثم مالت مسز ببليرز على روي وسألته:

- وماذا تعمل أنت يا سيد روي؟

ورد عليها روي وقد فاجأته بهذا السؤال بينما كان يتأملها ويتأمل هذا المجموعة ليرى ما إذا كان في إمكانها أن تقوم بعمل خطير إجرامي أم لا، وقال:

- إني أجلس وأفكر

وكان روي صادقا فيما قاله، وقالت له مسز ببليرز:

- سأسميك فيلسوف المجموعة.. فبيننا الشاعر والناقد.

وسألها روي:

- وماذا يفعل السيد كوست؟

- إنه رجل أعمال من كبار رجال الأعمال. إن عمله في المدينة.. إنني أطلق عليه "الرجل الغامض".

- وماذا تفعل مس بانتيل؟

- إن لها قدرة خارقة في رسم العالم الداخلي. إنها ترسم هذا العالم في صورة دوائر وألوان.

وشعر روي أن مسز ببليرز أبعد ما تكون عن الجريمة وارتكاب الجرائم. وكان يريد أن يعتذر وينسحب من هذا الاجتماع لولا أن هيلف أصر على البقاء.. وسألها روي:

- وهل تجتمعون هنا كل أسبوع؟

- يوم الأربعاء من كل أسبوع، لكن وقتنا ضيق بسبب الغازات الجوية. إن زوجة السيد نيوي تصر على أن يكون زوجها بالبيت قبل بدء الغارات الجوية

وفي تلك الاثناء لاحظ روي أن هيلف وكوست قد خرجا من الحجرة وسمع مسز ببليرز تعلق على ذلك بقولها: "إنهما يتآمران ضد الجلسة وسيحاولان اختبار حقيقة ما يحدث".

ودق جرس تليفون في الحجرة المجاورة. وقالت مسز ببليرز:

- من يكون هذا الأحمق الذي يطلبني في هذا الوقت من هذا اليوم، وجميع أصدقائي يعلمون أنه يوم الجلسة ولا أحب أن يزعجني فيه أحد.

ودخلت الخادمة تقول بصوت تدل نبراته على الضجر.

- إن شخصا يطلب مكالمة السيد روي.

وقال روي:

- لا أفهم هذا.. إن أحدا لا يعرف أنني هنا..

وقاطعته مسز ببليرز:

- أرجو أن تنهي المكالمة سريعا.

كان هيلف في البهو يتحدث في انهماك تام مع كوست. وعندما لمح روي يتجه إلى الحجرة التي بها التليفون سأل متعجبا:

- "هل هذه المكالمة لك أنت؟"

شعر روي وهو يخرج من الحجرة ليتلقى المكالمة التليفونية أن الجميع ركزوا أنظارهم عليه، وساد صمت عميق لم تتخلله كلمة واحدة. وظن المكان ان المتحدث هو السيد رينيت.. ورفع سماعة التليفون وقال: هالو..

وسمع على الطرف الآخر من يقول: "السيد روي؟" إنه صوت امرأة. أجاب روي:

- نعم أنا روي.

- وهل أنت بمفردك الآن؟

- نعم..

وشعر أن الصوت قد أصبح أكثر وضوحا، وأدرك أنها كانت في أول المكالمة تضع منديلا على فمها، وقالت له:

- أرجوك أن تخرج من ذلك البيت بأسرع ما تستطيع.

- هل أنت مس هليف.

وقال الصوت وقد عيل صبره.

- نعم أنا آن.

- وهل تريدين الكلام مع أخيك؟

- لا.. أرجوك ألا تخبره. واترك البيت فورا.

وشعر ببعض الدهشة أن يكون هناك خطر في بقائه في بيت مسز ببليرز. قال لها:

- وماذا سيحدث لأخيك؟

- إنك أن تركت البيت فسيتركه هو الآخر.

- ولماذا لا تقولين هذا الكلام لأخيك؟

- لأنه سيصر على البقاء.

- وهل جوتز لا يزال ينتظر أمام المبنى؟

وشعر بأنها ابتعدت عن التليفون لكي تنظر من النافذة، ثم سمعها تقول:

- لا لقد اختفى.

- هل أنت متأكد؟

- لا يوجد أحد أمام المبنى.

وقال روي

- إن أحدا يقترب الآن، ولذلك فإني سأقفل الخط.

- إنهم سينالون منك في الظلام.

وفتح الباب ودخل هيلف وقال:

- هيا تعال إنهم ينتظرونك.. مع من كنت تتكلم في التليفون؟

ورد عليه روي بعد أن وضع السماعة.

- عندما دخلت أنت لتترك رسالة إلى السيد ترينش تركت أنا رسالة مع مسز ديرمودي عن المكان الذي سنذهب إليه ليمكن الاتصال بي.

- وهكذا اتصلوا بك.

- إنه جونز _ البوليس السري.

- هل هو جونز؟

- نعم.

- وهل لديه أخبار مهمة؟

- لا، ليست مهمة.. لقد قلق لأنه فقد أثري. وطلب السيد وينيت أن أقابله في مكتبه.

– كم هو مخلص السيد رينيت؟ إننا سنذهب إليه فور انتهائنا من هنا

– فور انتهائنا من ماذا؟

ورد هيلف كمن كشف سرا لروي:

– يبدو أننا أخطانا، ولكن لا بأس فلا خطورة من بقائنا هنا لنحضر الجلسة.

وعندما عادا إلى الحجرة لاحظ روي أنها قد أعدت لشيئ ما. فقد جلس الجميع في حلقة وساد صمت عميق وكأنهم في انتظار حدوث شيئ.. وقالت مسز ببليرز لروي:

– اجلس أنت إلى جوار السيد كوست ..ثم بعد ذلك... سنطفئ الأنوار كلها.

إننا في الاحلام المزعجة نشعر أن صوانا سيفتح فجأة أو بابا سيفتح دون توقع، ثم نفاجئ بشيء مرعب مخيف، ولكننا لا نعرف ما هو هذا الشيئ

وقالت مسز ببليرز مرة أخرى:

– أرجوك أن تجلس لكي نطفئ الأنوار.

وقال روي:

- آسف لأني يجب أن أخرج الآن.

وصاحت فيه مسز ببليرز:

- إنك لا تستطيع الخروج الآن. خبره يا سيد هيلف هل يستطيع أن يخرج الآن؟

ونظر روي إلى هيلف، وقال هيلف:

- بالطبع لا يستطيع أن يخرج. بل سنبقى نحن الاثنان، وإلا لماذا أتينا إلى هنا؟

وأغلقت مسز ببليرز الباب بالمفتاح ووضعت المفتاح في سترتها.. إننا في الأحلام المزعجة لا نستطيع الهروب.. إننا نشعر بأرجلنا ثقيلة لا تتحرك.. إنك تقف أمام الباب وهو يفتح دون أن تستطيع الحراك. وهكذا الحال في الحياة. إننا أحيانا نجد من السهل تقبل الموت على أن نثير إشكالا. وتذكر في تلك اللحظة شخصا آخر كان يشك ولكن لم يستطع أن يثير إشكالا ولذلك فضل شرب اللبن.. إنها زوجته.. لقد كانت تشك في أنه قد دس لها سما في اللبن، ولكنها لم تقل هذا فضلت أن تشرب اللبن على أن تتكلم..

وجلس إلى جانب السيد كوست. وكان شعوره شعور المجرم الذي يقف في الصف ينتظر انقضاض الكلب البوليسي متعرفا عليه. وجلست إلى يساره مس بانتيل. أما مسز ببليرز فقد جلس دكتور فورستر على يمينها وهيلف على يسارها. وأطفئت الأنوار.. وقالت مسز ببليرز:

– والآن سيمسك كل بيد جاره.

وأسدلت الستائر السوداء وأطبق الظلام الدامس، وأمسك روي بيد كوست من جهة وباليد الأخرى أمسك بيد مس بانتيل. وتمنى لو أن هيلف كان إلى جواره في تلك اللحظة. إن هذه أول مرة يحضر فيها مثل هذه الجلسات.. إن الأرواح لم تكن هي سبب خوفه، وظل طوال الوقت يتوقع أن يحدث شيئ من ورائه. وحاول أن يخلص يده من قبضة كوست أو مس بانتيل، ولكنه لم يستطع.

وساد صمت تام، وتبلورت حبات العرق على جبينه، وبدأت تنساب على عينه اليمني ثم على خده، ولم يستطع أن يمسحها، وانساب صوت أسطوانة من الحجرة المجاورة. إنها قطعة موسيقية من مندلسن. واستمعت أذنه إلى أنفاس الحاضرين وهي تتردد في صدورهم قلقة واجفة.. إنها أنفاس بعضها جاف خشن يصدر أصواتا وبعضها الآخر ثقيل بطيئ ذو نغمة رتيبة مملة. وظل هو طوال الوقت ينصت. وبدأ يشعر بسلام التحذير الذي وصله عن طريق التليفون.. "إنهم سيحاولون النيل منك في الظلام" أن في الأمر خطرا. وانطلق صوت مفاجئ يقول: "ماذا...؟ إنني لا أستطيع أن أسمع"، ومن بعيد جاء صوت نفير سيارة كأنه آت من العالم الآخر، وقال الصوت مرة أخرى "ارفع صوتك" ثم قالت مسز ببليز:

– إن بين الحاضرين عدد لا يؤمن بهذه الجلسات، وهذا هو السبب الذي من أجله لا تريد الروح أن تحضر

وسمع صوت ارتطام شيئ، قد يكون مقعدا وقد تكون منضدة إن هذه ليست أرواحا

وقالت مسز ببليرز مرة أخرى:

بين الحاضرين عدو. شخص لا يؤمن بالأرواح.

وشعر روي بقبضة كوست تشتد على يده، وشعر بالرغبة في الصياح والاستنجاد بهليف ولكنه لم يفعل، ثم سمع فرقعة شيئ. رباه هل هي جثث محنطة. وسمع صوتا يقول: روي. لكنه ليس صوت مسز ببليرز. وعاد يقول "روي".. هل هذا الصوت الذي يناديه آت من قبرها؟ صادر من تحت الغطاء الثقيل الموضوع فوقها؟

وقال الصوت:

روي، لماذا؟.. لماذا قتلت؟.

وصدر من الصوت أنين انتهى بالصمت. إنه صوت زوجته التي ماتت وهي تئن وتتألم. وتحرك ضوء بالقرب من السقف ثم مال الضوء إلى الحائط باحثا وصاح. روي "كفي. كفي"

ومرة أخرى قال الصوت: روي. وصاح روي: "كفي...كفي"

وأضيئت الأنوار التي أبهرت العيون. وكانت مسز ببليرز مائلة برأسها إلى الإمام، وصاح السيد نيوي.

- انظروا إلى كوست.

واتجهت أنظار الجميع إلى كوست.. لقد كان مائلا برأسه على المنضدة.

وصاح هليف:

- أحضروا طبيبا..

وقال الدكتور فورستر:

- إنني طبيب..

ثم اقترب من كوست وقال بعد أن ألقى نظرة عليه.

- لا فائدة من الطبيب الآن.. بل يجب استدعاء البوليس.

وقال نيوي:

- إنها سكتة قلبية فربما لم يستطع تحمل الوقف.

وقال الدكتور فورستر:

- أخشى من أنه لم يمت بالسكتة القلبية.. إنه قتل.

وقال نيوي:

- هذا مستحيل فإن الباب مغلق.

ورد الدكتور فورستر:

- إن تفسير ذلك بسيط فإن القاتل هو واحد من الموجودين.

واستطرد يقول:

– إنني لن ألمس جثة كوست قبل أن يأتي البوليس. إنه قد قتل بواسطة مطواة.

ودس روي يده في سرعة داخل جيب سترته وشعر بأنظار الجميع ترقب حركته هذه.. وقال دكتور فورستر:

– على الجميع أن يبقوا في أماكنهم وسأذهب لأتصل بالبوليس

وبقي الجميع صامتين وابتعدت مس بانتيل بمقعدها بعيدا عن روي، وهكذا بقي روي إلى جانب الجثة بمفرده. وقال نيوي:

– إن صفارات الإنذار ستنطلق بعد لحظات، وعندئذ لن أستطيع العودة إلى البيت.

ورد مود وهو ينظر إلى روي نظرة ذات معنى:

– ليس هناك من سبب لبقائك يا نيوي.

وأدرك روي أنه لم يقل كلمة واحدة دفاعا عن نفسه. ولقد منعه شعوره بالإثم نتيجة لجريمته القديمة أن يقول شيئا. ثم ماذا سيقول لنيوي أو مود أو مس بانتيل؟ وكيف سيقنعهم أن قاتل كوست هو واحد من أصدقائهم؟ ونظر إلى جثة كوست وظل يأمل أن يقف كوست على قدميه ويقول: "هأنذا" لكن كوست كان جثة هامدة كأشد ما تكون الجثث موتا.

وشيء آخر أن البوليس يعلم أنه قد ارتكب جريمة قتل قبل ذلك. وقال روى:

– هل يمانع أحداً منكم في أن أذهب إلى دورة المياه؟

وقالت مس بانتيل:

– لا أعتقد أن أحداً يجب أن يخرج من هذه الحجرة قبل وصول رجال البوليس.

وقال هيلف:

– أعتقد أنه يجب أن يذهب واحد معك كنوع من الرسميات

وقالت مس بانتيل:

– لماذا لا نواجه الحقائق؟ من هو صاحب هذه المطواة التي قتل بها كوست؟

وقال هيلف:

– أعتقد أن السيد نيوي لا يمانع في الذهاب مع السيد روي.

وقال نيوى:

– لا أريد أن يزج بي في هذا الموضوع. إنني أريد أن ألحق بالقطار.

وقال هيلف:

- إذا سأذهب أنا معه إذا كنتم لا تمانعوا.

ولم يمانع أحد.. كانت دورة المياه في الدور الأول، وقال روى لهيلف "إنني لم أقتله".. ورد هيلف:

- بالطبع لم تقتله..

وقال روى:

- ولكن من الذي قتله؟

- لا أعرف، ولكني سأعرف.

ثم وضع يده على كتف روي، وقال له بصوت متوسل:

- يجب أن تهرب، إنهم سيشنقونك، إنهم على الأقل سيضعونك وراء القضبان عدة أسابيع، وهذا أمر مفيد لهم..

- ولكن ماذا أفعل؟ إن المطواة التي قتل بها كوست مطواتي.

- إنهم شياطين.. إنك يجب أن تبتعد حتى أستطيع أنا ورينيت أن... ولكن خبرني أولا من الذي اتصل بك تليفونيا قبل الجلسة؟

ورد عليه روي:

- إنها أختك آن.

وزمجر فيه هيلف:

- أهي أختي.. لا بد أنها مسكت ببعض الخيوط.. فهل حذرتك؟.

- نعم وطلبت أن لا أقول لك شيئا.

- لا بأس.

- ولكن أين سأذهب؟

- ما عليك سوى أن تختفي.. وامنحني فرصة أسبوعاً واحدا ولكن يجب أن تختفي طوال هذا الأسبوع.

- وهل سيحضر البوليس الآن؟

- إنك تستطيع أن تقفز من هذه النافذة إلى الحديقة الخلفية.. إن الظلام دامس في الخارج.. إنه لن تمضي عشرة دقائق ثم نسمع صفارة عربة البوليس.

- وماذا ستفعل أنت؟

- عندما تقفز إلى الحديقة أرجوك أن تلطمني على رأسي لطمة قوية تفقدني صوابي، فإن هذه خير وسيلة تبعد الشبهة عني.

الفصل الخامس

بين النوم واليقظة

هناك بعض الأحلام تنتمي في جزء منها فقط للاشعور.. إنها الأحلام التي تتذكرها عندما تستيقظ، تتذكرها بوضوح بحيث تعيش فيها بعد اليقظة ثم تنام مرة أخرى وتستيقظ ويستمر الحلم متصلا دون انقطاع، ويتخلله خيط من المنطق لا يوجد في الأحلام الحقيقية.

لقد كان روى منهوك القوى مذعورا. ولقد سار مدة طويلة أثناء الغارة الجوية في طرقات لندن. وكانت المدينة وكأنها مهجورة، المحلات التجارية تشب فيها النيران هنا وهناك، وكان عليه أن يجد فراشا ينام عليه واستمع إلى نصيحة هيلف وتوجه إلى الممرات الأرضية جنوب النهر.

وقد نام على إحدى البالات المكدسة وحلم. حلم أنه يسير في طريق ترامبنجتون.. ثم أخذ الشاي في البيت بينما استرخت أمه على مقعد في الحديقة تأكل سندويتشا. ونظرت إليه وابتسمت وكان الدفء والصيف يحيط بهما والمساء يزحف رويدا. وقال لها:

- أماه.. لقد قتلتها..

وقالت له أمه:

- لا تكن غبيا يا عزيزي. وخذ واحدا من هذه السندويتشات

– لكني قتلتها يا أماه.. نعم قتلتها.

ويبدو أنه كان مهتما باقتناعها.. آه لو اقتنعت.. إنها لو اقتنعت فستفعل شيئا.. إنها ستقول له "لا بأس ولا تقلق نفسك" وكان عليه أن يقنعها أولا. وقال لها:

– أماه أرجوكي أن تنصتي إلي.

ثم أدرك أنه لا يزال طفلا. فكيف يستطيع أن يقنعها؟ إنه لم يبلغ بعد الثامنة من عمره.. إنه يرى في الحجرة الأخرى مربيته الخاصة تشير إليه أن يذهب إليها. وقال لأمه:

– أماه! لقد قتلت زوجتي.. والبوليس يجد في أثري.

وابتسمت أمه وهزت رأسها وقالت:

– إن طفلي الصغير لا يستطيع أن يقتل أحدا.

إن الوقت قصير. لقد رأى من بعيد زوجة القسيس تحمل حمله وتقترب تجاههما. ولكنه قبل أن تصل أراد أن يقنع أمه..

– أماه! لقد قتلتها.

ومالت أمه في مقعدها الى الخلف وابتسمت وقالت:

– إن طفلي الصغير لا يستطيع أن يؤذي صرصورا.

ثم لوحت بيدها لزوجة قسيس الأبروشية، وقالت له:

– إنه حلم يا عزيزي.. إنه حلم كريه.

واستيقظ روي وتنبه إلى مكانه الذي يرقد فيه، ونظر من حوله فوجد أجسادا بشرية ملتصقة بحائط الممر الأبيض بينما كانت الغارة الجوية في الخارج. ثم انتهت الفأرة. ورأى في طرف الممر عاشقين يمسك كل منهما بيد الآخر.

وقال روي محدثا نفسه "لا بد أن يكون هذا حلما.. وقد كان بالنسبة لها حلم ولم تصدقه. لقد ماتت قبل الحرب العالمية الأولى.. إنها ما كانت لتتصور أن ابنها الصغير وهو في بنطلونه القصير وقميصه الأزرق يستطيع أن يقتل.. إنه يذكر صورته في "الألبوم".. فهل يصبح هذا الصبي قاتلا؟.

وتمدد مرة أخرى وأخذ يحلم مبتدئا من حيث توقف. وأزاح زوجة القسيس جانبا واستأنف الحديث مع أمه وقال:

– ليست هذه حياة حقيقية.

ونظرت إليه أمه نظرة واجفة وتركته يواصل كلامه.. وقال:

– إن البوليس يبحث عني من أجل جريمة لم أرتكبها. إن الناس يريدون قتلي لأني أعرف أشياءً كان يجب ألا أعرفها. إنني مختبئ في الممرات الأرضية ومن فوقنا الطائرات الألمانية تزأر وتهدم لندن.. إنك كنت تضحكين وتسخرين من قصص الجواسيس والقتلة والعنف.. لكنها الحياة على حقيقتها. إنني ابنك الصغير روي الذي كنت تقولين عنه أن لا

يستطيع أن يقتل صرصورا هأنذا أصبحت قاتلا.. يا حبيبتي... يا حبيبتي إني سعيد لأنك متوفاة.

وشعر بالرعب والفزع يزحف على نفسه عندما أدرك كيف يتحول الطفل البريء إلى قاتل وأن الأموات يراقبون هذا التحول دون أن يستطيعوا منعه. وقالت أمه صائحة:

– إن هذا مستشفى للمجانين.

وقال:

– إن المكان أكثر هدوءا وأنى أعرف ذلك، لقد وضعوني في إحداها فترة من الوقت. لقد كانوا شفوقين بي..

لقد جعل الحلم يناسب هواه، ولكن الحلم بدأ يستعيد خط سيره الأساسي.. ووجد نفسه في الحقل خلف البيت حيث كان الحمار الذي يحمل الغسيل إلى الطرف الآخر من القرية كل يوم اثنين يلعب. وكان هو يلعب في وسط كومة من التبن مع ابنة قسيس الأبروشية.

وكان هناك كلب اسمه سبوت. وأمسك الكلب بفأر وأخذ يقذف به وحاول الفأر أن يهرب زاحفا على ظهره الذي كسر وكان الكلب يتركه ثم يهجم عليه. ولم يستطع أن يتحمل رؤية الفأر وهو يتألم فأمسك بمضرب حشيش وضرب الفأر على رأسه وظل يضربه على رأسه وكان يخشى أن يتوقف عن الضرب خوفا من أن يكون الفأر لا يزال على قيد الحياة، وبالرغم من أن مربيته أخذت تصيح فيه:.. "كفي.. كفي. كيف تجرؤ على

هذا؟" وانزوى بعيدا لا يستطيع النظر إلى الفأر ثم جرى بعيدا واختبأ، وسمع المربية تقول:

– لن أخبر أحد أنك... ولكن لا تفعل هذا مرة أخرى.. إنها تعتقد أنك لا تستطيع أن تؤذي ذبابة فماذا دهاك حتى تفعل هذا؟.

ولم يدرك أحد أن سبب تصرفه هذا هو الإشفاق على الفأر. إن جزءًا من هذا كله حلم والجزء الآخر حقيقة ولكن ما سيأتي فهو كله حلم، لقد رقد على جانبه يتنفس بصعوبة بينما كانت المدافع تدوي في شمال لندن، وسرح فكره في ذلك العالم الغريب حيث يتشابك الماضي مع الحاضر ويتشابك المكان؛ فهو تارة مكان لحدث قريب وتارة أخرى مكان لحدث وقع منذ عشرين عاما ولكن المكانين يختلطان ويمتزجان. إنه واقف في الطريق ينظر الى بيت بعيد يشع من إحدى نوافذه ضوء.. إن هناك في هذه الحجرة المضيئة أناس يرقصون. إنه ينتظر أن تصل حبيبته لكي يأخذها إلى هذه الحفلة الراقصة. ولكن دون مقدمات أو إنذار يتحول هذا الحلم الجميل إلى كابوس. لقد سمع صوتا يصيح في الظلام صيحة رعب.. إنه ليس صوت الفتاة التي ينتظرها، لكنه صوت يختلف كل الاختلاف، صوت ينتمي إلى عالم غريب. لقد وقف رجل البوليس إلى جانبه، وقال بصوت نسائي: "الأفضل لك أن تنضم إلى مجموعتنا الصغيرة" ثم دفع به إلى "المراحيض" وهناك رأى فأرا ينزف دما. وتوقفت الموسيقى وانطفأت الأنوار. ولم يعد يتذكر لماذا أتى إلى هذا المكان المظلم القذر. وقال:

"أرجوك أن تدعني أذهب إلى البيت" وقال رجل البوليس "أين تريد أن تذهب يا عزيزي؟" وقال له:

- أريد أن أذهب الى البيت

وقال رجل البوليس:

- أي بيت هذا هو بيتك، وليس هناك مكان آخر تذهب إليه.

وكلما حاول أن يحرك ساقيه شعر بألم شديد، ولم يستطع أن يتحرك من مكانه.

واستيقظ من حلمه على صوت صفارات الإنذار تعلن انتهاء الغارة الجوية. واعتدل بعض الموجودين في المخبأ في جلستهم ليستمعوا إلى الصفارة ثم رقدوا مرة أخرى. ولكن لم يتحرك واحد منهم ليعود إلى البيت.. إن هذا هو بيتهم، لقد اعتادوا على الرقاد في الممرات الأرضية.

الفصل السادس

تناول روي طعام الإفطار في مطعم في شارع كلافام. ولقد اقتلعت نوافذ المكان الزجاجية، ووضع مكانها عوارض خشبية اتقاءً للغارات. فلقد عانت منطقة كلافام من القنابل كثيراً. ولقد وقعت الكثير من الغارات في وضح النهار. وكانت الخادمة التي أحضرت الطعام لروي مكتئبة حزينة وكأنها عاشت أطول مما يجب في ظل هذه الغارات الجوية. وكانت تنصت بأذنيها إلى كل صوت يخيل إليها أنه صوت أزيز طائرة. وأخذ يتصفح الجرائد اليومية لعله يجد أخبار جريمة بيت مسز ببليرز. لكنه لم يجد شيئاً ولا شك أن الصحافة لم تعد في وسط هذا الطوفان من القتل تهتم بأخبار القتل الفردي. وشعر روي باشمئزاز لذلك. إنه في يوم من الأيام احتل رءوس الصحف بأخبار قتله زوجته.

وارتشف روي قدح القهوة وهو يبحث بعناية تامة بين السطور الصحفية، وشعر بكراهية لهليف، أما أخته فتختلف عنه أنها قد حذرته قبل وقوع الجريمة.

وظلت الخادمة ترقبه، إنه لم يحلق ذقنه فلم يكن لديه متسع من الوقت لذلك وكان منظره يوحي بأنه من ذلك الصنف من الناس الذين يتناولون طعامهم ويهربون دون دفع الحساب. ودفع حسابه وسأل الخادمة:

– هل يوجد تليفون هنا؟

وأشارت الخادمة إلى مكان التليفون، وأدار روي رقم مكتب رينيت.. إنها ولا شك مخاطرة منه ولكن كان يجب أن يفعل شيئاً. إن الوقت كان مبكراً وسمع رنين جرس التليفون يدق في بيت رينيت دون أن يرد عليه أحد، ولم يكن بالشئ الغريب في تللك الأيام ألا يرد التليفون فربما انهار المبنى بعد إحدى الغارات.

وعاد مرة أخرى إلى مكانه وطلب قدحاً آخر من القهوة وورقة يكتب فيها، ونظرت إليه الخادمة نظرة ملؤها الشك.. إن العادة ألا يطلب أحد طلبا بعد أن يكون قد دفع حسابه.

وأخذ روي يكتب بعناية على الورقة التي أعطتها له، كل ما حدث، إنه لن يظل هكذا مختبأً طوال الوقت بسبب جريمة لم يرتكبها، ولم يذكر اسم هليف في التقرير لأنه لم يرد أن يزج بأحد أصدقائه في شئ لا يعرف نتائجه، وقرر أن يرسل هذا التقرير بالبريد إلى سكوتلانديارد. وعندما انتهى من كتابة التقرير أعاد قراءته مرات ومرات، بينما ظلت الخادمة ترقبه.. واتجه صوب الباب خارجاً، لكن الخادمة أوقفته وهي تقول:

- إنك لم تدفع حساب القهوة.

- إنني أسف.. لقد نسيت.

وأخذت منه النقود وهي منتشية بفرحة الانتصار، وظلت ترقبه حتى خرج وابتعد عن المكان.

وفي حوالى الساعة التاسعة أدار روي قرص أحد التليفونات القريبة من محطة ستكويل، ومرة أخرى سمع صوت رنين الجرس في مكتب رينيت، وفي الساعة التاسعة والربع أعاد الكرة للمرة الثالثة وسمع صوت رينيت يجيب:

– من المتحدث؟

– أنا روى.

– وماذا فعلت بجونز؟

– لقد تركته أمس خارج المبنى.

– إنه لم يعد حتى هذه اللحظة.

– ربما يكون مشغولاً بجمع بعض التحريات.

– كان مفروضاً أن يعود أمس لكي يقبض أجره عن الأسبوع المنصرم.. إن هذا التصرف غريب، إن جونز لم يتعود أن يترك أجره هكذا.

– لقد وقعت أحداث أسوأ من ذلك

– إن جونز ساعدى الأيمن، خبرني ماذا فعلت به

– لقد ذهبت إلى بيت مسز ببليرز

– إن هذا لا يهمني في شيئ إطلاقاً.. إنني أريد جونز.

– ولقد قتل شخص هناك.

– ماذا تقول؟

– ويعتقد البوليس أنني القاتل.

وسمع روي الرجل في نهاية الخط يصدر زفرة كبيرة، إنه طوال حياته لم يتعرض لمثل هذه المواضيع الخطيرة إنه كان يكتفي بمشاكل المراهقين وخطاباتهم الغرامية، أما الآن فإن التيار قد جرفه إلى حيث قرش البحر. وقال لروي وهو يئن:

– لم أكن أرغب في قبول مشكلتك.

– لكن يجب عليك الآن أن تخبرني ماذا أفعل يا رينيت.. إنني آت إلى مكتبك لأراك.

وصاح رينيت مذعوراً:"لا" ثم بعد لحظة قال: متى..؟

– الساعة العاشرة. فهل ستكون بالمكتب؟ إنني لم أقتل الرجل يا رينيت يجب أن تصدقني، لأنني لست معتادا على القتل.

في مواجهة مكتب رينيت يوجد محل لبيع الكتب القديمة بالمزاد، ويستطيع الواقف خلف أرفف الكتب أن يراقب مدخل مكتب رينيت.. إن المزاد الأسبوعي سيجرى غداً وسيكون من المترددين على المحل كثير من الناس من مختلف الأشكال. إن هذا الرجل بذقنه الطويلة الشعثاء وأكمام

جاكتته الممزقة وجيوب سترته المنتفخة بقطع السندوتش لن يكون شيئاً غريباً شاذاً وسط رواد المحل.

ووقف روي يرقب الداخلين والخارجين من مكتب رينيت وهو في مكانه ذلك خلف أرفف الكتب، وأشارت الساعة في المحل إلى التاسعة وخمسة وخمسين دقيقة، ورأى رجلاً واقفاً يقرأ في صحيفة ديلي ميرور، وتذكر روي أصدقاءه القدامى تذكر أصدقاءه في الدراسة، ولكنه لا يذكر أسماءهم ولا حتى أشكالهم، أما أصدقاؤه في الفترة الأخيرة فقد كانوا هم وزوجاتهم أصدقاء له ولزوجته، ولكن هؤلاء تبخروا بعد القبض عليه، ولم يبق منهم سوى هنري الذي وقف إلى جانبه في محنته؛ لأنه كما قال: يعتقد في براءته، ولكن عندما رد عليه روي قائلاً أنه بالفعل قد قتلها تبخر هنري هو الآخر ومعه زوجته.

ومرة أخرى نظر إلى الرجل الذي يقرأ صحيفة الديلي ميرور، لقد كان قلقاً في حركاته، ولقد قرأ كل حرف في الصحيفة على ما يبدو، واقترب الرجل من روي وقال: معذرة..

وأسرع قلب روي في الدق وهو يرد عليه: نعم؟.. وقال الرجل:

- ليس معي ثقاب..

وأعطاه روي علبة الثقاب وقال:

- تستطيع أن تحتفظ بها.

وأخذ الرجل علبة الثقاب وأخذ يتلفت هنا وهناك، فسأله روي:

– هل تنتظر أحداً؟

ورد رجل البوليس السري:

– إني أنتظر صديقاً.

وحياه روى منصرفاً:

– أسعدت صباحاً.

– أسعدت صباحاً سيدي.

وكانت كلمة «يا سيدي» غلطة من رجل البوليس السري؛ فبالإضافة إلى قبعته وإلى الصحيفة التي في يده تأكد روي أن الرجل من رجال البوليس السري أرسل في أثره.

وانصرف روي يفكر في صديقه هنري، أين هو الآن، ثم قال سائلاً نفسه «لماذا أهتم بعد الآن بهذه التورتة؟ إن لا علاقة لها بي، ولماذا لا أستمر في الاختفاء حتى تسدل ستائر النسيان على هذا الموضوع ولا شك أن مثل هذه المواضيع تنسى بسرعة في أيام الحرب.. وما على سوى أن أخرج بعيداً عن لندن ولتهدم لندن بعد ذلك، وربما لا تحتوي «التورتة» على شيئ إطلاقاً وربما كانت تحتوي على ورقة خط أو «مثل».. وربما لم يقصد الرجل الأحدب الذي زارني في البيت شئ، وربما كان مذاق الشاي من وحي خيالي فقط، وربما لم يحدث ما حدث كما تصورته أو كما أتذكره

الآن» الخ. ثم فجأة دخل كشك به تليفون وأدار القرص، وجاء رد من نهاية الخط بصوت أجش:

- هنا مكتب الأمهات الأحرار.. من ذا الذي يتكلم؟

- أريد أن أتكلم مع مس آن.

- ومن أنت؟

- أنا صديق لها.

وجاءه صوت حسبه صوت زوجته، إن الصوت لم يكن يشبه صوت زوجته تماماً ولكنه كان كلما سمع صوت امرأة حسبه صوت زوجته.. وسألها روي..

- هل أنت مس آن؟

- نعم أنا آن، ومن أنت؟

- أنا روي..

وتبع ذلك صمت طويل، الأمر الذي جعله يعتقد أنها قد أغلقت الخط ثم قال:

- هاللو! هل أنت هناك؟

- نعم.

- أردت أن أتحدث إليك.

- ما كان ينبغى أن تطلبنى في التليفون.

- ليس لي أحد آخر لكي أطلبه غير أخاك.. هل هو موجود؟

- لا..

- هل سمعت ما حدث؟

- لقد أخبرنى أخى.

- لقد توقعت شيئاً سيحدث أليس كذلك؟

- ليس ما حدث بأسوأ منه.. إنني لم أكن أعرفه.

- لقد سببت لك بعض المتاعب، لقد اتصلت برينيت.

- لا..لا.. ما كان ينبغي أن تتصل به.

- إنني لم أتعلم بعد هذا الفن، إنك تستطيعين أن تحدسي ما حدث.

- نعم، البوليس.

- انك تعرفين ما طلب مني هيلف أن أفعله

- نعم أعرف.

- هل تقابلينني في مكان ما لمدة خمس دقائق فقط؟

- لا.. لا أستطيع

- فقط لمدة دقيقتين.

- ليس هذا ممكناً.

وقال متوسلاً: أرجوك.

- إنها مخاطرة.. وسيغضب أخي.

وقال متوسلاً:

- إنني أشعر بالوحدة ولا أحد إلى جانبي، إنني لا أعرف ماذا يجري.. ولا أحد يقدم لي نصيحة.. وهناك كثير من الأسئلة.

- إني أسفة.

- هل أستطيع أن أكتب لك.. أو أكتب له؟

- يمكنك أن ترسل على عنوان هذا المكتب وباسمي، ولا داعي لأن توقع اسمك على الخطاب، أو وقعه باسم آخر.

لقد شعر روي وكأنه طفل قد ضل طريقه ثم وجد يداً تأخذ بنصره وتقوده إلى البيت في سلام ثم سألها:

- ألم تذكر الصح

- لا.. لا شيئ

- لقد كتبت رسالة للبوليس

- لا تفعل ذلك. هل بعثت بها؟

- لا

- إذن لا داعي. انتظر فربما لا تجد ضرورة لإرسالها

- هل تعتقدين أنني أستطيع أن أذهب على البنك لأسحب بعض النقود؟

- لا.. لا تذهب إنهم ولا شك يراقبون البنك الذي تودع فيه نقودك

- إذن كيف يمكنني أن أعيش وليس معي نقود؟

- أليس لك صديق يستطيع أن يسحب لك الشيك؟

ولم يكن يرغب في أن يقول لها أن لا أصدقاء له، ولكنه قال:

- نعم، أعتقد ذلك

- حسناً فما عليك سوى البقاء مختبئاً

- سأبقى مختبئاً

ووضعت سماعة التليفون.

وفكر في أصدقائه القدامى: جيري وفان. ولكنه أسقطهما فلا فائدة ترجى من اللجوء إليهما، ثم فكر في كروكس وبويل وكيرتس.. إن كيرتس سيلقي به أرضاً إذا ما لجأ إليه، والباقون لا فائدة منهم.. ولم يبق سوى هنري. فهناك عند هنري الأمل الوحيد على شريطة ألا تتدخل زوجته في الأمر. إن زوجة هنري لم تكن تحب روي. إنه يذكر عنوانه، ولكن لا بأس من التأكد. وتوجه روي إلى كشك للتليفونات وفتح "الدليل" باحثاً عن اسم هنري ديلوكس ووجده ووجد العنوان صحيحاً

وفي الطريق إلى هنري فكر في عذر يقوله له. عذر مقبول لا يثير اشتباه هنري أو زوجته. إنه سيقول له أن البنوك في هذا الوقت من النهار مغلقة وهو يريد مبلغاً من المال لأمر عاجل ثم يدون له شيكاً يسحبه هنري فيما بعد..

وصعد روي درجات السلم المؤدي إلى مسكن هنري، وقبل أن يطرق الباب رأى هنري يفتحه ويخرج منه، لكن هنري لم ينتبه إليه ولم يكن على عادته نظيفاً حليقاً، بل قد تغير تماما فعيناه زائغتان وذقنه طويلة بعض الشيئ وملبسه في حالة سيئة وقبل أن ينطق روي بكلمة رأى بعض الرجال يصعدون درجات السلم مسرعين ويقابلهم هنري دون كلمة ثم يدخل الجميع المسكن.. ويقف روي حائراً. ولم تطل حيرته إذ رأى رجلين يدخلان المسكن يحملان نعشاً، وسمع أحدهما يقول للآخر:

- إن مسز هنري كانت من أكفأ لاعبات الهوكي

ورد عليه الآخر:

– لا شك أنهم سيمنحونها وساماً

– وما فائدة الوسام بعد موتها؟

إذن فقد ماتت زوجة هنري وهم سيدفنونها اليوم، لكنه لم ييأس. إن هنري أمله الوحيد في صرف الشيك. إن ما تبقى معه من نقود لا تكفي يوماً واحداً، وتسلل روي إلى الداخل. ووجد هنري هناك بمفرده ينتظر بدء إجراءات "الجنازة". واقترب منه روي. لأول مرة ينتبه هنري إلى وجوده فيصافحه ويقول له:

– لقد ماتت.. لقد قلت لها ألا تقترب من ذلك الحائط لكنها لم تستمع إلى كلامي. لقد وقع عليها الحائط وماتت

وقال روي:

– لم أكن أعرف أن زوجتك ماتت وإلا لما كنت أتيت في هذا الوقت

وساد صمت قطعه روي:

– لقد أتيت أطلب أن تعطيني بعض المال مقابل شيك باسمي على البنك. إن البنوك قد أغلقت أبوابها الآن، وأنا في حاجة ملحة إلى هذا المبلغ لظرف عاجل.

وفي هذه اللحظة دخلت أم هنري وسمعت ما قاله روي، وسأله هنري:

– كم من المبلغ تريد؟

– أريد عشرين جنيها

– ليس معي الآن سوى خمسة عشر جنيهات وتستطيع أن تأخذهم.

وتدخلت أم هنري:

– لا تثق فيه يا هنري.. لا تعطه شيئاً

ورد روي:

– إن لي رصيداً في البنك وهنري يعرف ذلك جيداً

وقام هنري من مكانه إلى مكتب في ركن الحجرة، ولكن قبل أن يصله ظهر على باب الحجرة رجل ممتلئ الجسم وقال:

– إن سير الجنازة قد بدأ يا سيدي

ونظرت أم هنري من النافذة المطلة على الطريق وقالت لهنري:

– هيا بنا.. فلا يجوز أن تترك كل هؤلاء القوم ينتظرون. كم كنت أود لو أن ملابسك أكثر هنداماً ونظافة مما هي عليه

وردت أم هنري:

– إنها ليست زوجتك فحسب.. إنما هي بطلة وأمرها يهم إنجلترا كلها.

وقال الرجل الممتلئ الجسم:

– لن أدهش إذا ما سمعت أنهم منحوها وساماً

وتحرك الجميع على البهو تاركين روي بمفرده في الحجرة، وتبعهم روي آملاً أن يتذكر هنري عندما يراه مسألة الشيك.. إن هذه هي فرصته الوحيدة للحصول على نقود، ونظر هنري إلى روي وقال:

– إنني لن أغيب طويلاً بل سأشترك معهم حتى النهاية الطريق فقد ثم أعود.. إذ لا أستطيع أن أقف هكذا متفرجاً

وخرج روي معه على الطريق.. وكان الموكب قد بدأ سيره وأخذ نعشها يتهادى في بطء، وقال هنري:

– لقد قلت لها ألا تفعل.

وبعد لحظة قال لروي:

– معذرة يا صديقي

ثم انطلق خلف الموكب ليلتحق به، وبدأ يركض حتى لا يتخلف إلى الوراء، وبقي روي بمفرده، وأخذ يقلب ما بقي من نقود في جيبه فوجدها لا تغني شيئاً..

الفصل السابع

حقيبة من الكتب

حتى ولو كان الإنسان يفكر في الانتحار منذ سنتين فإنه يحتاج إلى وقت لكي يقرر نهائياً تنفيذ فكرته. إن التحول من مجرد فكرة إلى تطبيق عملي لهذه الفكرة يحتاج إلى وقت. ولم يكن هذا من جهة، ومن جهة أخري فربما إذا ما فعل هذا أن يأتي شخص وينقذه، ونظر روي إلى موكب الجنازة وهو يبتعد وشعر أنه ليس هناك حل آخر. إن البوليس يجد في البحث عنه متهما إياه بجريمة قتل وفي جيبه الآن خمسة وثلاثون شلنا لا غير ولا يستطيع أن يذهب إلى البنك وليس له من أصدقاء سوى هنري لا شك أنه يستطيع الانتظار إلى أن يعود هنري لكنه شعر بنفور من الانتظار بعد الذي حدث من هنري، إن من الأسهل أن يموت وفيما هو يفكر سقطت ورقة بنية اللون على كتفه. إن هذا معناه كما كانوا يقصون عليه وهو صغير أنه سيحصل على نقود ولكن هذه القصة القديمة لم تقل متى ستصل هذه النقود.

وسار بجوار الشاطئ متجها ناحية قنطرة شليس، وكان المد منخفضا ورأى بعض طيور الماء تسير على الشاطئ أنه لم يكن معه نقود فحسب، بل هو أيضا ليس له مأوى يلجأ إليه.. ليس له بيت. كم اشتاق لمسز هولفيس صاحبة "البنسيون" وهي تحضر له الشاي. كم اشتاق لقراءة رواية "دافيد كوبرفيلد" التي اعتاد قراءتها مرارا وتكرارا .

ومال روي على حافة القنطرة في وضع من ينوي على الانتحار، ثم أخذ يستعرض تفاصيل ما سيحدث. إنه لا يريد أن ينتحر في جلبة وضوضاء؛ فهو لا يريد أن يؤذي أحدا بمنظره وهو ينتحر..

لا شك أنه يستطيع أن يذهب إلى البنك وهناك سيلقي البوليس القبض عليه ثم يشنق، لكن مجرد التفكير في أنه سيشنق على جريمة لم يرتكبها جعله يشعر بالغضب. ثم لماذا ينتحر؟ إنه إذا قرر الانتحار فيجب أن يكون ذلك من أجل جريمة ارتكبها بالفعل إذ ليس من العدل أن ينتحر بسبب جريمة لم يرتكبها.. إن العالم ينظر إلى القاتل على أنه مجرم شرير، لكن العالم يعتبر من يقتل نفسه إنسانا عاديا، إنسانا لا يختلف عنا في شئ: أن روي مجرم شرير.. لأنه قتل إنسانا آخر.. إنه شب في طفولته على الإيمان بأن من الخطأ إيذاء أحد، لكنه كان دائما مريضا يتألم. فقد كانت أسنانه مريضة وكم تألم على يد طبيب للأسنان غير كفء اسمه جريجز.. إنه عرف قبل أن يبلغ السابعة من عمره معنى الألم، ولذلك فإنه لم يحتمل أن يرى الفأر يتألم، وكان دائما على استعداد لأن ينقذ الأبرياء ويعاقب المذنبين، وبالرغم من خبرات الحياة المريرة فإنه كان يؤمن بالعدل. وإن العدل موجود رغم كل شيئ.

وأخذ روي يحلل بواعثه الدفينة عندما قتل زوجته كما فعل قبل ذلك مئات المرات، وقال محدثا نفسه أنه لم يستطع تحمل منظر زوجته وهي تتألم.. أي أنه أشفق على نفسه من رؤية هذا الألم ولم يكن الدافع إلى قتلها إشفاقه عليها. لقد قالت له يوما في بداية المرض أنها تود لو ماتت، ثم لقد

وجد أن قوة احتمالها وصبرها على الألم هو الذي سبب له الضيق وفكر في أن يخلص نفسه – لا أن يخلصها – من هذا الضيق غير المحتمل. ثم استطاعت أن تحدس ما ينوي أن يفعله، لكنها لم تقدر أن تسأله. لقد انتابها رعب جامح لكنها لم تسأله. إذ كيف يمكنها أن تعيش مع رجل بعد أن تسأله. ما إذا كان سيضع سما لها في الشراب يوما ما؟

لقد كان أيسر عليها وأسهل أن تشرب كوب اللبن ثم تنام. ولم يعرف روي هل كان خوفها أشد ألما أم مرضها. ولم يعرف أيضا ما إذا كانت تفضل الحياة بما فيها من ألم على الموت. لقد أمسك يوما بعصى وظل يضرب بها الفأر حتى مات، وهكذا أنقذ نفسه من رؤية منظر الفأر وهو يتألم. ثم تذكر الليلة التي أعطاها فيها كوب اللبن وبه السم. إنه تركها بمفردها تشرب اللبن وتموت. وكان يجب عليه أن يتركها بمفردها حتى لا يثير شكوكها حتى لا يبدو في تصرفه أي شئ من الغرابة.

وعندما سأله البوليس لم يستطع أن يكذب، بل اعترف بما فعله. وكان صدقه هو الذي أنقذه من الإعدام. سمع روى صوتا يتحدث جانبه وتنبه إلى آخر مقطع في العبارة: "إنهم لا يستطيعون أن يخربوا نهر التايمز ويفسدوا جماله". وقال روي:

– آسف لم أسمعك

وقال الرجل:

– إن الممرات الأرضية في مأمن من الغارات الجوية أن القنابل لا تؤثر فيها..

وشعر روي أنه رأى هذا الوجه من قبل.. إن هذا الشارب الأشيب الدقيق وهذه الجيوب الممتلئة بالسندوتشات ليست غريبة عليه. وأخرج الرجل قطعة من الخبز من جيبه وألقى بها في الماء ولكنها قبل أن تصل إلى سطح الماء تلقتها أحد الطيور.

ثم مد الرجل يده ووضع على راحته فتات من الخبز وقال: "تعالوا يا أعزائي" وأقبلت العصافير تحط على ذراعه وتلتقط فتات الخبز من راحته وقال الرجل: "إنهم يعرفونني" ثم وضع قطعة من الخبز بين شفتيه فجاء عصفور والتقط قطعة من الخبز من بين شفتيه كما لو كان العصفور يقبله: وقال روي للرجل:

– لا شك أنه من الصعب في أيام الحرب أن تقدم الطعام لكل هؤلاء الأصدقاء؟

– بالطبع ..

وعندما فتح الرجل فمه ليتكلم ظهرت أسنانه المتآكلة وقد غطتها طبقة سوداء. وقال له روي:

– أظن أنني رأيتك قبل الآن؟

– أعتقد ذلك.

– هل كان ذلك في محل بيع الكتب بالمزاد؟

ورد الرجل وهو يحدق فيه بعينيه الضيقتين:

– إن عالمنا عالم ضيق

– هل كنت تشتري كتبا من هناك؟

سأله روي هذا السؤال، وهو يتأمل ملابسه المهلهلة، وأجاب الرجل وقد شعر بنظرة روي له ومعناها: إنني أشترى الكتب وأبيعها، وهذه ملابس العمل.. إن الكتب تحمل كثيرا من الأتربة.

– وهل تشتري الكتب القديمة؟

– إن تخصصي هو شراء كتب الحرائق

– وهل تجد عملاء كثيرين!

– هم أكثر عددا مما تتصور

ثم فتح ذراعيه ليبعد العصافير عنه، واستطرد يقول:

لكن هذه الأيام أيام عصيبة، إنني لا أدري لماذا يتحاربون، ثم لمس حقيبة الكتب الملقاة إلى جانبه بقدمه وقال.

– إن هذه الحقيبة مليئة بالكتب. لقد حصلت عليها من بيت أحد اللوردات. إن بعضها في حالة سيئة للغاية. ولكن الآخرين.. إنني لا أقول أنها صفقة رابحة. كنت أود أن أطلعك عليهم لولا خوفي من تجمع هذه

الطيور عليها. إنني إذا لم أحمل هذه الكتب إلى أحد العملاء في منطقة ريجال كورت قبل الساعة الخامسة فلن أستطيع بيعهم بعد ذلك. إن هذا العميل يريد أن يأخذ هذه الكتب إلى الريف قبل بدء الغارات الجوية، وليس معي ساعة فهلا أخبرتني كم الساعة الآن؟

– إنها الآن الرابعة.

وقال الرجل:

– يجب أن أذهب الآن، إن الحقيبة ثقيلة الحمل وأنا متعب أشد التعب. لقد كان اليوم يوما شاقا فهل تسمح لي يا سيدي أن أجلس لحظة.

جلس الرجل على الحقيبة، ثم أخرج علبة سجائره من جيبه، وقال لروي:

– هل تدخن يا سيدي؟ يبدو أنك منهك.. هل أنت كذلك؟

ورد عليه روي:

– أنت بخير.. لماذا لا تأخذ تاكسي؟.

– لا أستطيع ذلك يا سيدي فإن داخلي محدود هذه الأيام. إنني إذا استلقيت تاكسي فسأخسر دولارا.. إن الناس لا يهتمون الآن كثيرا بالحرائق.

وقال روي:

– أظن يجب أن تذهب الآن وأخشى أنني أسلبك وقتك.

ونظر الرجل إليه نظرة بائسة، وشعر روي أن الرجل قد أحب الحديث معه، ثم قال الرجل:

– أظن ذلك يا سيدي– على أية حال فقد استمتعت بالحديث معك أنك نادرا ما تنعم بحديث شيق هذه الأيام وأنت تنتقل من مخبأ إلى مخبأ؟

– وهل تنام في المخابئ؟.

– أصارحك القول يا سيدي انى لا أحتمل انفجار القنابل

– لكنك لا تستطيع أن تنعم بالنوم كما يجب في المخبأ .

وحمل الرجل الحقيبة على ظهره وبدا عليه الإرهاق الشديد وكاد أن يقع بها.

وسأله روي:

– لماذا أتيت من هذا الطريق؟ إنه ليس أقصر طريق إلى هدفك.

– لقد أردت أن أستريح بعض الوقت، ولم أستطع مقاومة دعوة الأشجار والطيور لي..

وقال روي وهو يمد يده ليأخذ الحقيبة منه:

– دعني أساعدك فليس هناك سيارات في هذا الطريق.

– لا داعي لأن أحملك متاعبي.

لكن الرجل أعطى الحقيبة لروي رغم ذلك. وخرج الاثنان من الحديقة ونقل روي الحقيبة من يده اليسرى إلى اليد الأخرى وقال للرجل:

-أعتقد أنك تأخرت عن موعدك

-إن لساني هو المسئول عن هذا التأخير.. وإنني أعتقد أنه لا بد من أن أستقل تاكسي.

- أعتقد ذلك.

- هل تسمح لي أن آخذك في التاكسى معى إلى حيث تريد إذا ما كان طريقي هو نفس طريقك؟

- أشكرك .

ونادى الرجل على تاكسي وركب الاثنان فيه. وقال الرجل لروي:

- إني أطلب منك خدمة أخيرة.. إن درجات السلم في فندق ويجال كورت مرتفعة ورجل عجوز مثلي لا يستطيع أن يرتقيها فإن صنعت هي جميلا وحملت الحقيبة بدلا مني فإني سأوصلك بالتاكسي إلى حيث تريد أن تذهب.

قال له روي:

- إنك تجازغ بهذا العرض فأنت لا تعرف أين أنا ذاهب.

- قبلت المجازفة وسأوصلك إلى آخر لندن إن أردت.

- ولكن لماذا لا تطلب من خادم الفندق أن يحمل الحقيبة!

- إنني لا أثق بهؤلاء الخدم ربما لا يوصلها

- إذن اذهب معه.

- إنني لا أستطيع ارتقاء درجات ذلك السلم فهي مرتفعة.

وقال روي محدثا نفسه "لا بأس من عمل شيء طيب قبل أن أنتحر ولا شك أن الرجل ضعيف لا يستطيع ارتقاء السلم"

وتعجب روي من هذه المصادفة العجيبة التي تلقي به في طريق رجل غريب يستقل معه تاكسي ويطلب منه أن يحمل عنه الحقيبة، ووقف التاكسي أمام فندق ريجال كورت. وكان الاثنان هو والرجل أشعثين وملابسهما متربة. إن روي لم يوافق على شيئ لكنه شعر أنه لا خيار له.. ولم يكن روي قاسي القلب بحيث يترك الرجل ويذهب.

وسأل روي الرجل:

- لمن سأترك الحقيبة

- للسيد ترافيرس بالحجرة رقم ٦

وحمل روي الحقيبة على ظهره وصعد بها درجات السلم، وفي مكتب الاستقبال قال:

- سأترك هذه الحقيبة للسيد ترافيرس في الحجرة رقم ٦

ورد عليه رجل الاستقبال

- إنه يترقب وصول الحقيبة. إنه ليس موجودا الآن، لكنه ترك أوامره بأن تنتظره مع الحقيبة.

وقال روي:

- لا تهمني أوامر السيد ترافيرس.

ونادى رجل الاستقبال على أحد الخدم وقال له:

- خذ هذا الرجل الى الحجرة رقم ٣ لقد أصدر السيد ترافيرس أوامره بأن ينتظره في حجرته

وجد روي نفسه يسير خلف الخادم في دهاليز الفندق التي لا تنتهي وكان الضوء في الدهاليز خافتا. وظل الاثنان يسيران من ممر إلى آخر، وقال روي للخادم:

- إنني لا أستطيع العودة بمفردي.

ورد عليه الخادم:

- إن السيد ترافيرس أصدر أوامره بأن تنتظره

- لكنني لا أتلقى أوامر من السيد ترافيرس

وكان الهدوء يخيم على المكان بصورة تبعث على القلق وأخيرا وصلا الحجرة رقم ٦، ولولا رقم الحجرة المكتوب على لوحة من النحاس لما استطاع روي أن يميز مكان الباب من الحائط

ووضع روي الحقيبة على الأرض وفتح بابا في داخل الحجرة فوجده يؤدي إلى حجرة استقبال، وفتح فمه دهشة.. لقد كانت آن تجلس في هذه الحجرة، وسألها:

هل أتيت أنت الأخرى لمقابلة السيد ترافيرس؟ وهل أنت أيضاً تهتمين بكتب الحرائق؟

وقالت آن:

- لقد أتيت لأقابلك أنت.

أخذ قلبه يدق بعنف عندما رآها، وكأنه مراهق يقابل فتاة لأول مرة، وسألها:

- وكيف عرفت أني سأحمل حقيبة من الكتب، للسيد ترافيرس؟ ومن هو هذا السيد ترافيرس؟ إنني لم أكن أعرف السيد ترافيرس إلا منذ عشر دقائق فقط.

- ألم، تلاحظ أي شيئ؟

- ماذا تقصدين؟

- تقول أنك كنت صحفيا أفلم تلاحظ شيئا؟

- حقا لقد كنت صحفيا.. لكن ماذا تقصدين؟

- لقد لاحظت أن السيد ترافيرس لم يستعمل هذه الحجرة. إن قطعة الصابون الموضوعة على الحوض مازالت ملفوقة فى ورقها.

وقاطعها روى سائلا:

- قد أكون غبيا؛ لذلك خبريني كيف كيف عرفت أنني سأحضر هنا؟ ولماذا حضرت أنت؟

- إنني لن أجيب على سؤالك كيف حضرت، ولكني سأجيب لماذا حضرت، وإنك تذكر أنني طلبت منك أن تنصرف من بيت مسز ببليرز على وجه السرعة، وكنت على صواب عندما طلبت منك ذلك، أليس كذلك؟

- لقد كنت على صواب. ولكن لماذا القلق؟ لقد قلت أنك تعرفين كل شيئ عني، ألم تقولي ذلك؟

وقالت ببساطة:

- إني لا أخشى أي ضرر يقع علي منك.. إنني أحب العدل.

- حقا وإنه لشيء جميل أن يسود العدل

- لكنهم لا يعرفون كلمة العدل

- هل، تقصدين مسز ببليرز وكانون توبلنج؟

- إن كانون توبلنج رجل طيب

ثم ابتسمت وقالت:

- إنه من السفه الكلام هكذا الآن

- أرجو أن تطلبي من أخيك أن يبتعد عن طريقي، فلقد عيل صبري وليقتلوا من يشاءون فلا دخل لي بهم... وأنني راحل بعيدا

- إلى أين؟

- إنهم لن يعرفوا طريقي.. أعرف مكانا آمنا، لكنهم لن يهدأ لهم بال فهم يخافون أن أكشف أمرهم، لكنني لا أعرف حقيقة ما حدث.. إن الأمر الآن كله مرتج علي: التورتة ومسز ببليرز.

- إنهم أشرار وإني مسرورة لأنك ستذهب بعيدا عنهم؛ فليس هذا شأنك، وإنني لا أريد أن ينالك مكروه

وتعجب روى من كلامها، وقال لها:

- لكنني سيئ مثلهم. إنك تقولين أنك تعرفين كل شيئ عني.. أليس كذلك؟

- يا سيد روي لقد قابلت كتيرا من الأشرار في حياتي، لكنك لست واحدا منهم.. إنك تختلف عنهم تماما، إن الناس يقولون أن العدل الإنجليزي شيىء معروف، ولذلك فهم لم يعدموك لقد كانت جريمتك جريمة مدفوعا إليها بعامل الرحمة.. هذا ما قالته الصحف.

- وهل قرأت الصحف؟

- كلها.. بل لقد رأيت كذلك الصور التي أخذتها لك وكنت تضع صحيفة على وجهك لتخفيه.

وأنصت إليها وقد عقدت الدهشة لسانه. إنه لم يستمع إلى أحد من قبل يحدثه عن هذه الجريمة حديثا صريحا كهذا.. إنه حديث مؤلم لكنه يشبه ذلك الألم الذي يحسن به الإنسان إذا ما وضع صبغة اليود على جرح في إصبعه.. إنه ألم يستطيع أن يتحمله.

واستطردت تقول:

- لقد رأيت كثيرا من جرائم القتل، ولكنها جرائم لم ترتكب باسم الرحمة أو بدافع الرحمة. فأرجوك ألا تفكر في هذا الموضوع كثيرا وامنح نفسك فرصة أخرى

وقال لها:

- أظن أننا يجب أن نفكر الآن في السيد ترافيرس.

ولم تعبأ بكلامه واستمرت تقول:

- أريدك أن تذهب بعيدا

- وماذا ستفعلين أنت؟

- سأذهب أنا كذلك؛ فإنني لا أريد المزيد من المتاعب.

- إذا كانوا هم أعداءك أنت أيضا وسيسببون لك متاعب فإنني سأبقى لأتحدث بشأنهم مع السيد ترافيرس.

- لا إنهم ليسوا أعدائي، فأنا لست من هذه البلدة

- ومن هم إذن أعداؤك؟ إنني لا أكاد أفهم شيئا.. إن الضباب يلف كل شيئ أمامي فلم أعد أفهم شيئا، فهل تقصدين أبناء قومك؟

- إنهم متشابهون في كل مكان.

ووضعت يدها على ذراعه واستطردت تقول :

- إنك لست شريرا كما تتصور.. إن عيبك أنك لم تستطع أن تتحمل الألم لكنهم يستطيعون تحمل الألم.. إنهم قوم لا يهمهم شيئ

- أعتقد أنني لو بقيت هنا فإن لسيد ترافيرس سيسلمني للبوليس

- إنني لا أعرف ماذا سيفعلون بك.

- ولكن خبريني لماذا اعتقدوا أنني سأبقى بعد أن أوصل حقيبة الكتب؟. أم أنت مشتركة معهم في ذلك؟

- لا

- إنني لم أشك لحظة واحدة أنك معهم، لكن الواضح أنهم قد قصدوا أن يجمعونا نحن الاثنين في هذا المكان.. إنهم يعرفون أنك ستضيعين

علي الوقت بالكلام والشرح، لكن أظن أن البوليس لا يريدك أنت فهل تأتين معي؟

- نعم سآتي.

- أرجو أن لا نكون قد تأخرنا ويكون الوقت المناسب للهرب قد مر.

وفتح روي الباب في هدوء ونظر الى الخارج ثم أغلقه وقال لآن:

- هناك شخص يقف في نهاية الدهليز. إنني لم أستطع رؤية وجهه.

- لاشك انهم فكروا في كل احتمال .

ووجد الحماس يدب في نفسه من جديد إنه كان يحاول الانتحار اليوم، ولكنه لن يموت.. إنه لن يموت ويجب أن يعيش لأن شخصاً آخر في حاجة إليه. ولم يعد يشعر الآن بتفاهته.

ثم قال لها:

- أعتقد اأنا لا نستطيع أن نفعل شيئاً وما علينا سوى الانتظار وأرى أن نطلب نبيذاً فاخراً فإن السيد ترافيزس هو الذي سيدفع.

- أرى أن نطلب رجل الاستقبال ونصر على أن يحضر إلى هنا ثم بعد ذلك نخرج معه.

- أعتقد أن هذا هو الصواب.

ورفع روى سماعة التليفون. وسألته آن

- وماذا ستقول له تبريراً لطلب حضوره؟

وقبل أن يجيبها أدرك أن الخط التليفونى لا يعمل وقال لها ذلك، ووقفت أن أمامه وأمسكت بيده وقالت :

- إننا محاصرون، ولا أدري ماذا ينوون أن يفعلوا بنا.

وقال لها:

- ليس معنا أي سلاح لندافع به عن أنفسنا.

وذهب إلى المدفأة الكهربائية ليدفئ الحجرة، ولكنها لم تعمل فقال لها بعد أن حاول إضاءة نور الحجرة فلم تضئ

- إنهم كذلك قطعوا الأسلاك الكهربائية من الحجرة، وبعد قليل سيسود الظلام.

ووضعت آن يدها على فمها كالطفل الصغير وقالت:

- إنني خائفة... إنني خائفة.. إنني لا أحب الظلام.

- إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً. لقد أغلقت الباب بالمزلاج ولا أخالهم سيحطمونه للوصول إلينا.. فنحن في فندق

- وهل أنت على يقين من أنه ليس هناك باب آخر يوصل إلى المطبخ؟.

وجرى روي إلى المطبخ الملحق بالحجرة ورجع وهو يقول:

- إنك على صواب فهناك باب آخر.

- إذن أرجو أن تغلقه بالمزلاج.

- إن مزلاجه مرفوع.

ثم أخذ يدها في يده مرة أخرى.

- لا تجزعي.. إننا نتوهم أشياءً لم تحدث. إننا في قلب لندن. وهذا الفندق ملئ بالناس.. إنهم يحيطون بنا من كل جانب وما علينا سوى أن نصيح فيأتون لمساعدتنا.

وكان الليل قد بدأ ينتشر، وعم قليل سيخيم الظلام. وقالت آن:

- في بحر نصف ساعة ستنطلق صفارات الإنذار ثم يهرع كل هؤلاء الناس إلى المخابئ وسنبقى نحن هنا بمفردنا.. معهم.

وشعر روي بالبرودة تسرى في يد آن وهو ممسك بها، ورد عليها:

- وهذه هي أيضاً فرصتنا فعند انطلاق صفارات الإنذار سنجري مع الناس إلى المخابئ.

- إننا في نهاية الدهليز.. هذا فضلاً عن أنه قد لا يكون هناك زحمة من الناس. وكيف تجزم أن هناك أحد غيرنا في حجرات هذا الدهليز؟ إنهم ولا شك قد فكروا في كل الاحتمالات؛ فهم ربما قد حجزوا جميع هذه الحجرات.

- إننا سنحاول على أية حال.. آه لو كان معنا أي سلاح، أو عصاة أو قطعة من الحجر.. آة لو كانت هذه الحقيبة مليئة بالحجارة بدلاً من الكتب.

ونظر الاثنان إلى الحقيبة نظرة ملؤها الشك. وقالت آن:

- لا.. لن ألمس هذه الحقيبة.

وكان شعور الاثنين شعور الطائر أمام نظرات الثعبان، وخيم الظلام وبدأت طلقات المدافع تسمع من بعيد. وقالت:

- إنهم سينتظرون إلى أن تنطلق صفارات الإنذار وإلى أن يذهب الجميع إلى المخابئ فلا يستطيعون سماعنا.

وقفز روي من مكانه كما لو أن حشرة لدغته وهو يقول "ما هذا؟"

- ماذا؟

- أعتقد أن أحداً يدير مقبض الباب.

- إنهم يقتربون منا الآن.

وصاح روي:

- لن نقف مكتوفي الأيدي.. ساعديني في نقل هذه الأريكة لنضعها خلف باب المطبخ.

ولكن آن قالت:

- إننا سنمنعهم بذلك من الدخول إلينا، ولكن يستطيعون أن يطلقوا غاز الوقود في الحجرة.

- إن طريقة تفكيرك تجعلني أشك في أنك معهم.. على أية حال هيا نضع الأريكة خلف الباب.

وفيما هما يزحزحان الأريكة قال روي:

- لا فائدة.. إن الوقت متأخر.. هناك شخص في المطبخ ويجب أن نستسلم.

- لا، لا تستسلم.. إنهم ينصتون الينا الآن.

- إنني قد تعبت من لعبة القط والفأر هذه.. إنهم يخيفوننا بهذه الأحداث التي يفتعلونها.

وكانا يسمعان في الظلام صوت أبواب تفتح وتغلق، وصاح روي:

- ادخلوا.. ادخلوا.. إن الأبواب مفتوحة .

وقال ونبرات صوته تدل على الغضب:

- إإهم أساءوا اختياري للعبتهم.. إنهم لن يبثوا الخوف والرعب في نفسي.. إنهم لن يحققوا أغراضهم عن طريق إخافتي... كان يجب عليهم أن يعرفوا أولاً من أنا.. إنني قاتل.. إنك تعرفين ذلك.. إنني لا أخاف أن أقتل أحداً. أعطني أي سلاح... أعطني ولو قطعة من حجر.

وقالت آن، وهي تنظر إلى الحقيبة:

- إنك على حق.. يجب أن نفعل أي شيئ. يجب ألا ندعهم يفعلون هم كل شيئ ونظل ساكتين.. افتح الحقيبة.

ومال روي على الحقيبة يفتحها بينما انطلقت صفارات الإنذار..

الجزء الثانى

الرجل السعيد

الفصل الأول

محادثات في اركادى

تسللت الشمس إلى داخل الحجرة من بين أفرع الأشجار الخضراء والتي كانت على وشك الإزهار، وكانت براعمها تتفتح. وانساب ضوء الشمس على جدران الحجرة البيضاء النظيفة وعلى السرير ذي الملاءة الصفراء وعلى المقعد الكبير ذي المسندين، وكذلك على المكتبة الصغيرة وما تحويه من كتب ذات موضوعات حديثة.

وكان في وسط الحجرة منضدة عليها أصيص به بعض زهور الداليا. وكان الصوت الوحيد الذي يمكن سماعه هو صوت خرير الماء وهو يتدفق هادئاً من نافورة في الحديقة، هذا إلى جانب صوت ذلك الرجل ذي النظارة وهو يتكلم بصوت جاد رقيق.

- إن أهم شئ في الموضوع ألا تقلق بالك يا سيد ديجي، لقد أسهمت بنصيبك في المجهود الحربي والآن تستطيع أن تستلقي على ظهرك وأنت مرتاح الضمير.

إن الرجل ذا النظارة ظل يركز على مسألة الضمير، ولقد قال مرة منذ أسابيع مضت أن ضميره مرتاح نظيف. وكانت عيناه الضعيفتان تطلان في يأس وقنوط من خلف عدسات نظارته السميكة التي تشبه قاع زجاجة. ورد عليه "ديجي"

- لا تظن البتة أنني لا أسعد بحياتي في هذا المكان. إنه مكان هادئ وفرصة للاستجمام، ولكني أحياناً أحاول أن أعرف من أنا..

ورد عليه الرجل ذو النظارة:

- إننا نعرف ذلك يا سيد ديجي. إن بطاقتكم الشخصية..

- أعرف هذا، أعرف أن اسمي في بطاقتي الشخصية هو"ريتشارد ديجي" ولكن من هو ريتشارد ديجي هذا؟ وأي حياة كنت أحياها قبل أن أفقد ذاكرتي؟ وهل تظن أنني سأستطيع يوماً أن أسدد تكاليف بقائي هنا؟

- لا داعي لأن تقلق بالك بكل هذا يا سيد ديجي، إن الطبيب يعتبر العناية بحالتك بالذات واكتشافها ودراستها خير عوض له. إنك حالة فريدة تحت مجهر الطبيب.. ألا تعلم أن الطبيب هو الذي صمم كل هذا البناء بما فيه. إنه رجل رائع عظيم.. إن هذا المستشفى يستطيع مقاومة القنابل ولا يوجد مثيل له في هذا المكان.

- أعتقد أن في المستشفى حالات أشد سوءا من حالتي، ومرضى يتصرفون بعنف.

- هناك حالات قليلة ولذلك فقد أفرد لها الطبيب جناحاً خاصا سماه "قسم المجانين" ويشرف على ذلك القسم طاقم خاص من الأطباء إنه لا يريد أطباء هذا القسم الذي أنت فيه يشعرون بالقلق والإرهاق لو انهم أشرفوا على قسم المجانين إذ من الضروري أن يكون الطبيب المعالج في حالة نفسية طيبة هادئة.

- لا شك أنكم جميعا في حالة نفسية طيبة.

- أعتقد أنه حينما يأتي الوقت المناسب فإن الطبيب سيعالجك عن طريق التحليل النفسي. لكن من الأفضل أن تعود إليك ذاكرتك تلقائياً وطبيعيا.. إن الذاكرة كالفيلم الحساس في المحاليل الكيميائية فإن الصورة تأخذ في الوضوح تدريجيا.

ورد عليه ديجي:

- أعتقد لو أن المحاليل الكيميائية من صنف جيد فإن الوضع يختلف عن ذلك يا سيد جون.

ومال ديجي إلى الوراء في استرخاء وكسل وعلى جبهته ظهرت آثار جرح عميق.

ورد جون:

- فلنمسك بهذا الأثر.. إنك ولا شك تعرف الكثير عن التصوير فربما كنت تعمل في هذا الحقل قبل أن تفقد ذاكرتك؟

وسأل ديجي:

- هل تعتقد أنني كنت أعمل مصوراً محترفاً مثلاً؟ ربما فإن لحيتي هذه توحي هي أيضا بهذا.. إنني كنت أفكر في إحدى الحجرات المظلمة في الطابق الأرضي في بيتنا وأتذكر أنه إذا ما تسلل أي ضوء إلى داخل الحجرة

فسد الفيلم. إنني أتذكر حياتي الأولى كما ترى حتى سن الثامنة عشرة تقريباً.

- تستطيع أن تستمر في الكلام عن هذه الفترة التي تتذكرها من حياتك وربما قادك تفكيرك وتسلسل الأحداث والصور إلى تذكر باقي حياتك.

- لقد فعلت ذلك في هذا الصباح وأنا ممدد على سريري. لقد أخذت أستعرض ما كنت أرغب أن أكون. وتذكرت أني كنت مولعا بكتب الكشف في إفريقيا، أمثال الكاشفين ستانلي وبيكر ولفنجستون وبيرتون وغيرهم. ولكني أعتقد أنني لم أكن من هؤلاء المستكشفين فلا مجال للاستكشاف في أيامنا هذه. أظن أننا يجب أن نقرأ أسماء الذين عملوا في المستعمرات فربما يكون اسمي بينهم. إنني أعجب كيف أن اسمي معروف ولكن لا يعرف لي صديق أو قريب.. وهل كنت متزوجاً أم لا. إن هذا يقلقني كثيراً؛ فربما زوجتي تكون جادة في البحث عني الآن.

- أعتقد أن لدى الطبيب بعض الأشياء التي سيقولها لك في المقابلة اليومية معه؟

لقد كان الطبيب يقابل مرضاه على انفراد كل يوم لمدة خمسة عشرة دقيقة، باستثناء الذين يعالجون عن طريق التحليل النفسي فإن كل واحد منهم كان يأخذ ساعة من وقته، وكان ديجي يتجنب مكان اجتماع المرضى في انتظار دورهم لمقابلة الطبيب، كان يتجنب ذلك المكان لما كان يراه من مناظر مؤلمة.. لقد كان ديجي يشعر أنه إنسان عادي طبيعي باستثناء فقدان

ذاكرته لفترة من حياته تبدأ من سن الثامنة عشرة وباستثناء شعور مبهم بالسعادة لا يعرف له سبباً، وهو يشبه شعور من ينزاح عن كاهله كابوس ثقيل.

لقد كان جون أحد مساعدي الطبيب ولكنه لم يكن خبيراً في عمله وكان الطبيب يوكل إليه الحالات البسيطة.. وكان جون يقدس الطبيب ويجعل منه بطلاً لخيالاته.

ولقد فهم ديجي مما سمعه من جون عن الطبيب أنه موضع حقد وكراهية قرنائه في المهمة فهم يحسدونه على كفاءته، ولكن حدث أن أحد مرضاه انتحر فاستغل هؤلاء الحاقدين هذه الفرصة ضد الطبيب وكادوا أن ينجحوا في سحب الترخيص منه بمزاولة مهنة الطب..

وكان جون يتكلم كثيراً عن بطولات الطبيب وكيف أنه يعاني من حسد هؤلاء الحقودين. واستطرد يقول: "لقد ترك لهم المكان في لندن وجاء هنا إلى الريف وفتح مصحته الخاصة، وهو لا يقبل فيها مريضاً إلا بعد أن يوقع على طلب بدخول هذه المصحة. وحتى الحالات المتأخرة فإنه يصر فيها على أن يوقع المرضى على هذا الطلب"

وسأله ديجي!

- ولكن ماذا فعل معي أنا؟

ورد عليه جون:

- إنك إحدى الحالات التي يعتز بها، وإنه ولاشك سيخبرك يوما. وعلى أية حال فقد وقعت أنت أيضا على مثل هذا الطلب...

لكن ديجي لا يذكر شيئاً. إنه لا يذكر كيف أتى إلى هذه المصحة، إنه يتذكر أنه استيقظ فوجد نفسه في هذه الحجرة، ومنذ تلك اللحظة وهو يحاول أن يتذكر، وكان كلما أمسك بنقطة بداية لا يجد القوة الكافية لتتبعها. إنه يتجرع الدواء دون أن يشكو، ثم يغط في نوم عميق لا يشوبه إلا بعض الأحلام المزعجة أحياناً. وتكون بطلة الأحلام امرأة.

لقد أمضى بعض الوقت في المصلحة قبل أن يكلموه عن الحرب، وقد تطلب الكلام عن الحرب الكثير من الشرح. إن ما كان يبدو كغيرة شيئاً عادياً كان بالنسبة له شيئاً غريب يحتاج الى تفسير. فمثلاً كان من الصعب إقناعه أن باريس وقعت في قبضة الألمان إذ كان يقول: إن باريس في ألمانيا.

جلس الطبيب خلف مكتبه البسيط وأمامه أصيص من الزهور وأشار إلى ديجي بالدخول، ودخل ديجي ومعه جون. وسأله الطبيب:

- كيف حالك الآن؟ إنك تبدو أحسن حالا من ذي قبل.

- أصحيح هذا؟ لكن ماذا كنت من قبل؟ إننى لا أعرف ولا أنت يا دكتور فورستر.

وقال الدكتور فورستر

- سأكشف لك عن أخبار مهمة. لقد عثرت على شخص يعرف من أنت. شخص كان يعرفك من قبل أن تفقد ذاكرتك.

وأسرع قلب ديجي في دقاته وسأله:

- من هو هذا الشخص؟

- لن أقول لك.. بل سأتركك تكتشف الحقيقة بنفسك.

- إنني أشعر بدوار يا دكتور.

- هذا أمر طبيعي فأنت مازلت ضعيفاً.

إن خبر هذا الشخص الذي يعرفه أزعج ديجي، وشعر أن أموراً خطيرة ستنكشف. وكان يشعر أن عودة ذاكرته معناها عودة مسئوليات جسام. إن الحياة تأخذ مجراها الطبيعي في يسر ورفق. وحتى الحب لا يأتي دفعة واحدة بل هو ينمو تدريجياً. وواجبات الحياة لا تنزل على كتفي المرء دفعة واحدة إنما تأتي على أجزاء فلا يشعر بها المرء. لكن مع من فقد ذاكرته فالأمر يختلف. إنه سيقابل إنساناً قد يطالبه بحب قديم ظل ينمو خلال سنين عديدة، والآن يجد نفسه أمام دين مفاجئ من العواطف التي تجمعت طوال عشرين عامًا وعليه أن يسدده

وقال له دكتور فورستر:

- لقد انتظرت حتى قوي عودك، وإنك لن تخيب ظننا فيك. وسأترككما بمفردكما هنا.

وسأله ديجى

- وهل هذا الشخص هنا الآن؟

- نعم إنها هنا الآن

لقد شعر براحة عندما رأى أن التي دخلت إنسانة غريبة لا يعرفها. لقد كان يخشى أن يدخل شخص يعرفه فتعود إليه الذاكرة مليئة بالأحداث والمسئوليات. إن التي دخلت فتاة نحيفة جميلة كستنائية الشعر، وشعر أن لا داعي للخوف منها.

ووقف ولكن لم يكن يعرف أيصافحها باليد أم يقبلها. لكنه لم يفعل هذا ولا ذاك.. ونظر أحدهما إلى الآخر من على بعد، وبدأ قلبه يدق بعنف. وقالت له الفتاة:

- كم تغيرت كثيراً!

ورد عليها ديجي:

- إنهم يقولون لي هنا أنني أقترب من حالتي الطبيعية تدريجياً.

- لكن شعرك ازداد شيباً، وهذا الجرح في جبهتك، وعلى أية حال تبدو أكثر سعادة.

- إنني أحيا حياة سهلة هنيئة هنا.

وسألته:

- وهل يحسنون معاملتك؟

- إنهم طيبون.

ثم قال لها بعد صمت:

- أرجو المعذرة إنني لا أعرف اسمك..

- ألا تتذكرني بالمرة؟

- لا.

إنه كان يرى في منامه أحلاماً عن امرأة ولكنها ليست هذه المرأة. إنه لا يتذكر تفاصيل هذه الأحلام إنما كل ما يتذكره هو وجه امرأة يملؤه الألم. وشعر بالسعادة لأن امرأة الحلم ليست هذه الفتاة ثم نظر إليها وقال:

- لا، آسف إذ لا أتذكر، وكم كنت أود لو أستطيع.

- لا داعى للأسف.. ولا تأسف أبداً بعد ذلك.

- أتظنين أن عقلي...

وقالت له:

- إن اسمي" آن"

ثم راقبته مراقبة دقيقة وهي تقول "اسمي آن هيلف" ، وقال لها:

- إنه اسم أجنبي على ما أعتقد.

- نعم فأنا من النمسا.

- إن هذه أشياء جديدة بالنسبة لي. ألسنا في حرب مع ألمانيا والنمسا...

- إنني لاجئة هنا.

- آه لقد قرأت عن هؤلاء المهاجرين

- يبدو أنك نسيت الحرب أيضاً

- لقد نسيت أشياء كثيرة، وأمامي الكثير لا أتذكره

- نعم الكثير.. إنك تبدو أكثر سعادة.

- لا يستطيع المرء أن يكون سعيداً وهو يجهل الكثير، أرجو المعذرة إنني أريد أن أسألك بعض الأسئلة. هل كنا مجرد أصدقاء؟

- مجرد أصدقاء..! لماذا؟..

- إنك رائعة الجمال، ولا أستطيع أن أفهم.

- لقد أنقذت حياتي.

- وكيف أنقذت حياتك؟

- لقد وقعت قنبلة، وقبل أن تنفجر طرحتني أرضاً ورقدت فوقي، ولذلك لم أصب بسوء.

- إنني سعيد لسماعي هذا، فعلى الأقل هناك عمل طيب فعلته.

- لقد أصبت في جبهتك.

- هذا الجرح. ربما تكون حادثة في سيارة، لكني لا أعتقد أنهم قصدوا أن يقتلوني.

- لا .

- إنني لست إنساناً مهما، إنني لست مهما. لم أكن إنساناً مهما وإلا لكانوا نشروا أخباري في الصحف

- وهل يسمحون لك بقراءة الصحف؟

- نعم فليس هذا بسجن.

ثم عاد يقول:

- إنني لست إنسانا مهما، وأعتقد أن الطبيب لن يسمح لك بأن تخبريني بشئ لقد قال إنه يريد أن أتذكر تلقائيا وببطء، ولكني أطلب منك أن تخرجي على أمر الطبيب في نقطة واحدة، نقطة واحدة تؤرقني وهي هل أنا متزوج؟

وأجابته ببطء كمن تتجنب في كلامها أي خطأ في التعبير.

- لا، إنك لست متزوجاً.

- لقد كنت أخشى أن أستأنف علاقة مع شخص لا أتذكره

- ليس هناك ما يدعو للقلق .

- هناك شئ واحد يقلقني وهو أنك قد تذهبين ولا تعودين فها أنت ترين أنني فقدت كل أصدقائي ولم يعد لي أحد سواك.

وقال وفي صوتها مسحة من الحزن:

وهل كان لك أصدقاء كثيرون؟

- أعتقد ذلك فلا شك أنني جمعت الكثير من الأصدقاء طوال هذه السنين.

- إنني سأعود.. إنهم يريدونني أن أعود. إنهم يريدون أن يعرفوا بعد أن تعود لك ذاكرتك.

- وأنت المفتاح الوحيد للتذكر . ولكن خبريني هل سأظل هنا الى أن تعود الى ذاكرتى ؟

- إنك لا تستطيع أن تعيش خارج المصحة دون ذاكرة.

- لم لا؟ فهناك الكثير من الأعمال، فإذا لم يقبلني الجيش بين صفوفه فسأعمل في أحد مصانع إنتاج الذخيرة.

- وهل تريد أن تعود إلى الحرب مرة أخرى؟

- إن المكان هنا هادئ وجميل، ولكن لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية.. إنها مجرد فترة راحة. ويجب على الإنسان أن يعمل ويكون نافعاً، ولا

شك أن الأمور ستكون أسهل وأيسر إذا ما عرفت ماذا كنت وماذا أستطيع أن أتقنه من أعمال، ولا أعتقد أنني كنت من هؤلاء الكسالى فلست من الأثرياء.. خبريني ماذا كنت أعمل. هل كنت محامياً؟ هل كنت في القضاء؟ لا أعتقد ذلك.

- لا.. لم تكن ذلك.

- فماذا كنت إذن؟ يقولون أن سنين الطفولة تشكل الرجل، وكنت وأنا طفل أحب كتب الاستكشافات. لقد حلمت كثيراً عن اكتشاف قبائل في وسط إفريقيا، واكتشاف عقاقير طبية. لا أنني لم أحب مهنة الطب يوماً؛ ففيها كثير من الألم، وأنا أكره الألم إن منظر الألم يجعلني أشعر بالدوار.. إنني أتذكر شيئا عن فأر يتألم.

- لا تجهد نفسك فلا داعي للعجلة.

- إنني لا أستطيع أن أتذكر شيئاً.. أين توقفنا؟.. العقاقير الطبية، التجارة.. إنني لا أريد أن أتذكر فجأة أنني صاحب محل.. إنني لا أحب أن أكون غنياً، وكل ما كنت أرجوه أن أعيش حياة طيبة.

كانت أية محاولة للتذكر تسبب له صداعاً شديداً. ولكن كان يجب أن يحاول. وقالت له آن:

- إن المرء لا يصبح دائما ما كان يريد أن يكون وهو صبي.

- بالطبع لا؛ فالطفل دائما يريد أن يصبح بطلاً أو مكتشفاً عظيماً أو كاتباً مشهوراً، ولكن هناك دائما علاقة بين ما يحلم به وما يصير إليه. فإن الصبى الذي يريد أن يصبح من الأثرياء يصبح موظفاً في بنك. أما الذي يريد أن يكون مكتشفاً فإنه يصبح من صغار موظفي وزارة المستعمرات. أما الكاتب المشهور فإنه يصبح محرراً في صحيفة إقليمية صغيرة. لقد تعبت من التفكير ويكفي هذا اليوم.

وسألته مرة أخرى وصوتها يدل على القلق عليه:

- وهل يحسنون معاملتك هنا؟

- نعم فأنا أعتبر حالة فريدة يهتم بها الدكتور فورستر بنفسه

- وهل تحب الدكتور فورستر؟

- إنه يبعث على الرهبة..

- لقد تغيرت كثيراً .

ولم يفهم ماذا تعني، ثم تصافحا وقال لها:

- أرجو أن تعودي مرة أخرى.

- إن هذه وظيفتي يا روي.

وبعد أن خرجت تنبه إلى أنها نادته "روي" وعجب من هذا الاسم.

في الصباح من كل يوم يحضر الخادم له الطعام وهو في فراشه ويتكون طعام الإفطار من قدح من القهوة والتوست والبيض المسلوق. لقد كان المكان عنده اكتفاء ذاتي فالطبيب يربي الدواجن في إحدى أركان الحديقة ومنها يأخذ البيض. وهو أيضا يربي العجول والأبقار ويأخذ منها اللبن والزبد.

ومع الطعام كان الخادم يحضر صحيفة الصباح بصورة منتظمة وفي بادئ الأمر – أي في الأسابيع الأولى –لم يكن يسمح لديجي بقراءة الصحف. إنه يعتدل في فراشه ويسند ظهره إلى بعض الوسائد ويتناول طعامه وهو يتصفح الصحيفة ويقرأ ما فيها من أخبار. لقد انخفضت نسبة ضحايا الغارات الجوية هذا الأسبوع إلى ٢٥٥ ثم يرتشف بعض القهوة ويلتهم قطعة من البيض ويستمر في قراءة أخبار معركة الأطلنطي.. إن البحرية البريطانية تعلق بمزيد الأسف عن.. ولقد غرقت بجميع من عليها..

وفي هذا الصباح بينما كان يقرأ، دخل جون يتبادل معه الحديث، وسأله ديجي: ما هو الطابور الخامس؟

وكان جون لا يحب أن يجيب على أية أسئلة؛ فقال:

- إنهم أناس يدفع لهم العدو نقوداً ليخدموا أغراضه في داخل بلادهم. هذا كان في أثناء الحرب العالمية الأولى أما في هذه الحرب فإن هؤلاء الناس لا يأخذون نقوداً إنما يعتنقون أراء ونظريات.

وقال ديجي:

- نشرت صحف اليوم أن البرلمان يناقش استجوابا عن هذا الموضوع وأن هناك نوعا من الطابور الخامس

ورد جون:

- إن الألمان قد أقاموا جهازا قوياً للجاسوسية ونشر التهم بين الناس فيفقد كل شخص الثقة في الآخر. ويعيش الناس في ذعر دائم فلا يطمئنون إلى إنسان، فيعيشون في رعب دائم.

- إن عضو البرلمان يعتقد أن هناك بعض الوثائق والخطط قد تسربت إلى يد العدو من وزارة الأمن القومي. لقد أحضرت هذه الوثائق الخطيرة إلى مقر مجلس الوزراء في الليل ليبتدئ المجلس في مناقشتها صباح اليوم التالي. لكنهم لم يجدوا هذه الوثائق .

ولقد رد عليه الوزير المختص بالقول بأن المجلس كان ينوي مناقشتها بعد الظهر وليس في الصباح، وعندما اجتمع المجلس بعد الظهر أحضرت الوثائق وتمت مناقشتها. وقال جون:

- كان يجب على الوزير المختص أن يخلق تبريراً لفقد هذه الوثائق في الصباح.

- لكن القصة كما روتها الصحف فيها فجوات كثيرة إن الوزير لم يقل أن الوثائق لم تفقد وأنها كانت موجودة في الخزينة طوال فترة الصباح؟..

وسأله جون:

- هل تعتقد أن الجواسيس أخذوا هذه الوثائق في الصباح وصوروها ثم أعادوها إلى مكانها. لقد نشرت بعض الصحف هذا الرأي قائلة أن الوثائق اختفت فترة ثم أعيدت إلى مكانها.

وقال ديجى:

- لقد بدأت أشعر بالتعب لقد أصاب رأسي الدوار، وأظن أنه يجب علي أن أسترخي بعض الوقت.

وغط في نوم عميق

كان عصر هذا اليوم صحوا وسماؤه صافية وخرج ديجي لبعض النزهة في الحديقة. لقد انقضت عدة أيام على زيارة آن، وانتاب ديجي شعور بالتطلع إلى عودتها كما يتطلع المحب إلى عودة حبيبته. إنه يتوق إلى مقابلتها مرة أخرى وإقناعها بأنه سليم العقل وأنه لا يقل قوة إدراك عن أي شخص آخر وأنه ليس مريضاً، وكان يعلم أنه لا فائدة ترجى من إقناع جون بذلك.

كانت الحديقة توحي بأن أحدا لا يُعتنى بها العناية الكافية. وتركت الأشجار تنبت فيها حيث تريد أن تنبت، وسار ديجي إلى أن وصل إلى بحيرة من الماء، وهناك قابل ماجور ستون، وسمعه يئن كالكلب عندما يتوجع. وما أن رأى ديجي حتى قال: "يجب أن اقوم بهذا العمل"..

وأخذ يلقى بالحجارة في البحيرة، وقد اتسخت يداه ورجلاه بالوحل ثم أردف يقول: "إنها خيانة عظمى أن يترك هذا المكان دون احتلال. إنك من هذا المكان تستطيع أن تسيطر على هذا البيت كله".

ثم وضع رجله في الماء، وبدأ يسير إلى داخل البحيرة، وقال له ديجي:

- ماذا تفعل هل تنوي أن تصل إلى الشاطئ الثاني هكذا؟

- إن البحيرة ليست عميقة

واستمر في السير في البحيرة، ثم التفت إلى ديجي، وقال له وهو غارق في الماء إلى ركبتيه:

- لقد رأيتك كثيراً قبل الآن، ولكني لم أتحدث معك، لقد شعرت بحب نحوك.. أعتقد أنك مريض مثلنا، وإني أشكر الله لأني سأخرج من هنا قريباً. خبرني ما هو مرضك؟

ورد عليه ديجي:

- فقدان الذاكرة

- هل كنت في الميدان ؟

- لا لقد انفجرت في البيت قنبلة في لندن .

وقال ماجور ستون:

- إنها حرب شريرة يصاب فيها المدنيون بالقنابل. إن هناك خيانة عظمى وإلا لما وقع ذلك الذي حدث

واستدار ماجور ستون عائداً وخرج من البحيرة وسار الى المصحة.

وفي الطرف الآخر من الحديقة مبنى آخر يطلق عليه دكتور فورستر وجون "قسم المجانين" ولم يكن أحد يتحدث عن هذا القسم، ولكن كان واضحاً أن جدران حجراته مبطنة بالكاوتشوك وأن المرضى به "قمصان المجانين" .. ومن الحديقة لا ترى شيئا من المبنى سوى نوافذ مرتفعة عليها قضبان من الحديد. إن كل الذين في المصحة يشعرون بوجود هذا القسم أنهم قد تنازلوا عن حريتهم مختارين للدكتور فورستر على أمل ألا تسوء حالتهم، ولكن إذا حدث وساءت حالتهم فإن قسم المجانين قريب منهم إذ لا داعي للانتقال إلى مستشفى للمجانين بعيداً.

كان ديجي يفكر في هذا القسم. إنه ولا شك يضم مجموعة من العقول المريضة التي اختل ميزانها.. ولكن هل يستطيع أن يجزم أحد أن في القسم أناساً؟.. وكثيراً ما اعتقد ديجي أن هذا المبنى لا يسكنه أحد إنما هو للتخدير فقط، شأن جهنم فهي للتخدير من الانحراف.

وفجأة عاد ماجور ستون يسير بخطى مسرعة، وعندما رأى ديجي اتجه إليه وقد غطت حبات العرق جبينه. وقال لديجي:

- إنك لم تربي. أفاهم أنت؟ إنك لم تربي.

ثم أسرع في اتجاه البحيرة ثم اختفى خلف الأشجار. واستأنف ديجي المسير إنه يعتقد الآن أنه يجب أن يخرج من هذا المكان. إنه إنسان عادي طبيعي، ولا حاجة به للبقاء هنا. ولكن القشعريرة سرت في بدنه عندما تذكر أن ماجور ستون يعتقد هو الآخر إنه قد شفي تماما وأنه يجب أن يخرج من هنا.

وعندما اقترب من المبنى رأى جون يخرج مندفعا مذعوراً وسأل ديجي:

- هل قابلت ماجور ستون؟

وتردد ديجي في الرد لحظة ثم أجاب: لا .

وقال جون:

- إن دكتور فورستر يريد أن يراه، لقد حدثت له نكسة.

هنا رد عليه ديجي:

- لقد رأيت قبل الآن...

- إن الدكتور قلق عليه فربما أضر بنفسه أو ربما ألحق الضرر بغيره. فهل تريد أن تشاركه في هذه المسئولية؟

وقال ديجي وقد شعر بالقلق:

- ابحث عنه حول البحيرة فربما تجده هناك.

وشكره ثم صاح ينادي رجلا كان واقفاً أمام مدخل قسم المجانين:

- بول.. بول. إنه ذهب إلى البحيرة

ورد عليه الرجل دون أن يتحرك من مكانه

- احترس يا جون

وقال جون:

- يجب أن نسرع إلى البحيرة. إن الطبيب في غاية القلق عليه

وجاء بول وتقابلت عيناه مع عيني ديجي وقال له ألم نتقابل في مكان ما قبل الآن؟ إنني واثق من ذلك

ورد عليه ديجي:

- لا.. لا

- على أية حال فقد تعارفنا الآن.. إنني حارس هذا القسم

وأشار بيده إلى قسم المجانين وصاح ديجي مذعوراً :

- إنني لا أعرفك ولم أعرفك قط. ولا أريد أن أعرفك

وأسرع جون وبول إلى البحيرة.. إنه واثق من أنه لم ير هذا الرجل من قبل. ولكن من يدري أنه لا يذكر شيئاً وربما تتفتح ذاكرته وتعود على بعض الأشياء الرهيبة.." ولكن لماذا أخاف من أن أتذكر. إنني لست مجرماً"

وعند مدخل المصحة قابلته الخادمة وقالت له:

- هناك زائر يريد مقابلتك

- أين هذا الزائر؟

- في البهو

ووجدها واقفة في البهو ولم يكن يدري ما يقوله لها. إنها هناك نحيفة شاحبة اللون، لكنها جزء من ذلك العالم الذي نسيه، وقال لها:

- إنه جميل منك أن تعودي. لقد كنت أتطلع إلى عودتك في شوق، ولقد مرت الأيام ثقيلة طويلة مملة لا شيئ فيها سوى التفكير. إنها حياة غريبة.

- إنها غريبة ورهيبة

- إنها ليست على هذه الدرجة..

ثم تذكر بول، واستطرد يقول:

- كيف كنا نتحدث قبل أن أفقد ذاكرتي؟ إننا لم نكن نقف هكذا صامتين. ألم نكن أصدقاء حميمين؟

- نعم

- إننا يجب أن نعود إلى الوراء.. إلى ما قبل انفجار القنبلة. ماذا كنت تقولين لي عندئذ؟. لا شك أنني كنت أحبك أجيبيني، أليس هذا صحيحاً؟

وعندما لم تجبه بشئ استأنف يقول:

- لا جدال أنني كنت أحبك..

- لا لم يحدث هذا

- لماذا؟

- لأننا تفارقنا قبل الانفجار بأيام قليلة

- لقد كان الوقت قصيرا ولم يكن بيننا حب

وأجابت بعد فترة صمت طويلة:

- لقد أحببتك

- أهذا حقيقي؟ إنني أكبرك بكثير، وليس في ما يستهوي أحد.. خبريني كيف كنت قبل ما حدث؟

وأجابته بسرعة، وكأنها قد أعدت الإجابة من قبل:

- لقد كنت تشعر بالعطف والشفقة ولم تكن تتحمل رؤية أحد وهو يتألم

- وهل هذا شعور غير طبيعي؟

- نعم إنه شعور غير طبيعي في العالم الخارجي. إن أخي...

وقاطعها متسائلاً كمن يضيف بعض المعلومات إلى ذهنه:

- لا شك أن لك أخاً؟ وأنه كان صديقا لي؟

- أرجوك أن تكف.. إنني لا أستطيع أن أستمر في هذه اللعبة

- أريد أن أخرج من هنا

- لا، أرجوك أن تبقى

- لماذا؟

- إنك في مأمن هنا

وابتسم وهو يجيب:

- مأمن من القنابل؟

- مأمن من أشياء كثيرة. إنك سعيد هنا.. ألست كذلك؟

- من زاوية

- هناك في الخارج لم تكن سعيداً. إنني سأفعل ما في طاقتي لأجعلك سعيداً. إنني أحب أن أراك سعيداً

وقال محاولاً أن يدفعها للكلام:

- إنك لم تكوني تحبينني في الخارج؟

- إن المرء لا يستطيع أن يتحمل رؤية شخص بائس غير سعيد

- كم أود أن أتذكر

- ولماذا ترهق نفسك بالتذكر؟

- إن الإنسان لا يستطيع أن يستمر هكذا فاقد الذاكرة.. هذا فضلاً عن أني أريد أن أتذكرك، وأتذكر كيف كنت أتحدث إليك

- لا.. لا تحاول "يا عزيزي"

- أهكذا كنت تناديني

- نعم يا عزيزي.. لقد كنت تقول لي أنك ستصنع المستحيل من أجلي.

- أحقاً؟

- وإني أطلب منك أن تصنع شيئاً تقدر عليه وهو أن تبقى هنا حتى تعود إليك ذاكرتك

- إذا ما وعدتيني بالحضور دائماً

- سآتي لزيارتك دائما

ووضع فمه على فمها في قبلة مراهقة، وهو يقول:

- لماذا قلت أننا مجرد أصدقاء فقط؟

وردت عليه:

- حتى لا ألزمك بشيئ

- ولكنك الآن ارتبطت بي

وقالت وكأنها في دهشة:

- وإني مسرورة بذلك

وصعد درجات السلم وهو يفكر فيها، إن أنفه مملوء برائحتها إنه يستطيع أن يعرف أي نوع من الطلاء تضعه على وجهها. إنه يحس ببشرتها. إنها تجربة جديدة عليه، حب مراهق. وكالطفل الصغير اندفع بجوارحه إلى هذا المصير من اليأس والألم، ولكنه يسمي هذا سعادة.

وفي اليوم التالي لم يجد الصحيفة الصباحية مع طعام الإفطار كالعادة، وسأل الخادمة عنها. وقالت الخادمة أنها اعتقدت أن الصحيفة وصلته. وسرت قشعريرة في جسمه كما حدث عندما تحدث إليه بول عصر أمس. وانتظر على أحر من الجمر وصول جون ليتحدث معه كعادته لكن جون لم يحضر، فاستلقى على فراشه وسرح بخياله وتفكيره ما يقرب من نصف الساعة. ثم ضغط على الجرس. وعندما جاءت الخادمة قال لها أن موعد تغيير مفرش السرير قد حان، ولكن الخادمة ردت أنها لم تتلق أوامر بذلك.. وقال لها :

- لكنك تفعلين ذلك تلقائياً كل يوم ولا حاجة إلى أوامر

- بل يجب أن أتلقى الأوامر

- قولي للسيد جون أنني أريد أن أراه

وقالت الخادمة "نعم يا سيدي" وانصرفت، لكن جون لم يحضر، وشعر وكأن حجرته قد ضرب حولها سياج. وانتظر نصف ساعة أخرى دون أن يفعل شيئاً. ثم نهض من على فراشه وذهب إلى المكتبة باحثاً عن كتاب يقطع به الوقت، لكنه لم يجد ضالته. ووجد كتابا للأديب الروسي تولستوي عنوانه "بماذا أؤمن" وجلس يتصفحه. ولفتت نظره بعض الكتابات على حافة إحدي الصفحات، ولكن الكتابة كانت ممسوحة، ولكنه استطاع أن يقرأ ما كان مكتوباً بصعوبة..

"إنني إذ أتذكر جميع الآثام والشرور التي أرتكبها والشرور التي عانيت منها نتيجة لكراهية الشعوب بعضها لبعض فإنني أعتقد الآن أن مرجع هذا كله حب الفرد لبلده فقط والكراهية لباقي البلاد"..

وتعجب ديجي لماذا حاول كاتب هذه السطور أن يمسحها. إنه رأي يستحق الجهر به، وألقى ديجي بكتاب تولستوي على المنضدة. إن الكتاب لم يثر فيه الرغبة بالقراءة، وشعر بالضيق لأنه يعامل معاملة المرضى.. ووقف أمام المرآة ونظر إلى جسمه النحيل وشعره الأشيب ولحيته الطويلة، وفتح الباب، ودخل دكتور فورستر ومن خلفه دخل جون.. وقال دكتور فورستر وهو يهز رأسه:

- لا فائدة يا ديجي، لا فائدة.. لقد خيبت ظني فيك

وقال ديجي، وهو يرقب دكتور فورستر بقامته المديدة في المرآة

- أريد ملابس وموسى للحلاقة

وسأله الطبيب:

- ولماذا تطلب موسى؟

- لكي أحلق لحيتي إني واثق أن هذه اللحية لا تمت لي بسبب.

- إن هذا يدل على أنك لم تستعد ذاكرتك بعد

واستطرد ديجي يقول:

- وأنا لم أتلق صحيفتي اليوم كالعادة

وقال دكتور فورستر:

- لقد أعطيت أوامري بأن يوقفوا إرسال الصحيفة لك. لقد كان جون أحمق في تصرفه معك. إن تلك المحادثات الطويلة عن الحرب قد أثرت في نفسك. لقد أخبرني بول أنك كنت في حالة توتر شديدة بالأمس..

وقال ديجي وعيناه على صورة جسمه النحيل في المرآة

- لن أقبل معاملتي كمريض أو طفل صغير

وقال دكور فورستر:

- يبدو أنك تتوهم أنك بوليس سري وأنك موهوب في هذه الناحية ،وأنك ربما كنت بوليساً سريا في حياتك السابقة..

- إنه مجرد هذر

- إنني أؤكد أنك كنت شيئاً مختلفاً كل الاختلاف.. نعم.. مختلفا كل الاختلاف

- وماذا كنت؟

- ربما يصبح من الضرورة في يوم من الأيام أن أخبرك، لو أن في إخبارك ما يمنعك من التصرف بحماقة

ووقف جون خلف الطبيب وعيناه مثبتتان على الأرض.. وقال ديجي:

- سأرحل من هنا

وارتسمت على وجه دكتور فورستر علامات الامتعاض، وهو يسأله في حدة:

- وآمل أن تدفع كشف حسابك

- إني آمل ذلك أيضا

- أرجوك يا عزيزي ديجي أن تكون معقولاً. إنك رجل مريض إلى أبعد الحدود. لقد محيت عشرون سنة من ذاكرتك. وهذا هو المرض بعينه.. ولقد كنت بالأمس وكذلك أنت اليوم في حالة توتر شديدة..

ثم وضع يده على كتف ديجي، وأردف يقول:

- إنني لا أريد أن أبقيك هنا بالقوة حتى يتم الكشف عليك..

- لكنني عاقل تماما مثلك. وأنت تعرف هذا.

- إن ماجور ستون يعتقد أنه هو الآخر عاقل. ولكني كنت مضطراً إلى نقله إلى "قسم المجانين"..

- لكنني..

- إن أعراض مرضك هي نفسها أعراض ماجورستون.. هذا التوتر. لكن لا تقلق فإننا سنحاول منع وقوعه. سنعطيك مزيداً من الطعام، مزيداً من النوم، وبعض المهدئات.. وسنمنع الزيارات عنك لفترة وحتى صديقنا جون لن يزورك

- ومس آن هيلف؟

- لقد أخطأت في بادئ الأمر.. إنك لست في حالة تسمح لك برؤيتها ولقد طلبت منها الامتناع عن زيارتك

الفصل الثاني

قسم المجانين

إن الشخص عندما يمسح كتابة كتبها، عليه أن يتأكد من أنه محا كل أثر لها. فإذا كان هناك سر يريد الشخص الاحتفاظ به فينبغي عليه أن يكون حذراً إلى أبعد حدود الحذر، فلو أن الدكتور فورستر محا ما خطه في حافة كتاب تولستوي محوا تاما لما عرف رينيت ما حدث لجونز، ولظل جون يعبد دكتور فورستر ويعتبره بطله، ولبقي ماجور ستون في قسم المجانين ينحدر تدريجياً إلى هاوية الجنون ولظل ديجي كما هو ديجي..

لقد ظل ديجي متيقظا فترة طويلة من المساء يفكر في هذه الكلمات التي حاول دكتور فورستر محوها. إن الذي شغل تفكيره وتأمله ليست الكلمات نفسها، إنما محاولة فورستر محوها.

لقد بدأ يشك في دكتور فورستر، وقد جاء هذا الشك كخطوة تالية لفقدان الثقة في فورستر وفقدان الاحترام. إن الإنسان لا يستطيع أن يحترم شخصاً لا يجد الشجاعة في نفسه للمجاهرة بما يومن به من آراء.

وتحول عدم الاحترام وعدم الثقة إلى شك في الطبيب، ثم شك في كفاءته للعلاج. وبدأ ديجي يتساءل: بأي حق منع عنه الصحف؟ وبأي حق منع آن من زيارته؟

لقد شعر ديجي كأنه تلميذ بالمدرسة، ولكنه شعر بعدم الاحترام لأستاذه لأنه يخفي أسراراً يخجل من الجهر بها. إن الأستاذ لم يعد يبث الرهبة والهيبة في نفس تلميذه، وقرر ديجي إعلان العصيان والتمرد.

وفي حوالي الساعة التاسعة والنصف مساءً سمع صوت سيارة فأطل من نافذته ورأى الدكتور فورستر يستقل سيارته وقد جلس بول إلى عجلة القيادة، لكن ديجي قبل أن يرى بول كان يزمع العصيان البسيط كان يزور جون في حجرته أما الآن فإنه اكتسب المزيد من الشجاعة، وقرر أن يزور قسم المجانين وأن يتحدث إلى ماجور ستون. إن على المرضى أن يتحدوا ويقفوا في وجه هذا الطغيان.

وتسلل ديجي خارجاً من حجرته وقد خلع حذاءه وسار حافي القدمين حتى لا يحدث صوتا. ومر أمام حجرة أحد المرضى ومن خلف الباب سمعه يبكي. وسار حتى وصل إلى حجرة جون فوجدها مضاءة والباب مفتوح. ونظر فيها فلم يجد أحداً. ودخل ديجي الحجرة. وعلى المنضدة وجد كومة من الصحف هي ولا شك مجموعة الصحف التي منع الدكتور وصولها إليه.. وشعر بإغراء لتصفحها لكن روح المغامرة التي بدأها منعته من الاستسلام لهذا الإغراء البسيط. إنه الليلة ينوي أن يفعل شيئاً لم يفعله مريض قط بمحض إرادته – إنه سيدخل قسم المجانين.

واستمر في مشيته في هدوء وحذر، ثم نزل درجات السلم واتجه إلى باب "قسم المجانين" وتمنى أن يجد الباب مغلقاً فيعود أدراجه ويدخل في فراشه قانعا، لكن الباب كان مفتوحاً. ودخل ديجي وأغلق الباب من خلفه

وفي هذا الصمت الرهيب سمع صوت دقات ساعة قريبة وسمع انسياب قطرات من الماء من صنبور، ورأى الأرض مغطاة بالأتربة وكل شيء يوحي بأن المكان لا يلقى العناية الكافية. وشعر وكأن كل شيء يقابله يهز له كتفيه ويقول له أن من يدخل هذا المكان يفقد أهميته. إن أحدا لا يهتم بأمرنا، ولا أحد يرانا.. إن واجبنا الأول هو أن نحافظ على الهدوء حتى يستطيع الدكتور أن يعمل دون أن يقلقه شيئ، ولولا دقات الساعة لما شك لحظة واحدة أن المكان مهجور وليس به إنسان.

ودفعه شعوره بالخوف إلى البحث عن ماجور ستون، وكان عليه أن يجده قبل أن يفوت الوقت ويعود دكتور فورستر. إنه لا يخشى دكتور فورستر فليس له عليه سلطان، لكنه كان يخشى انتقام الدكتور.. وسار في ممر طويل ومر على حجرات مغلقة ثم صعد درجات السلم إلى الطابق الثاني الذي تطل نوافذه ذات القضبان الحديدية على الحديقة. وأخذ يهمس خلف كا باب يقابله "ستون.. ستون" ولكن لم يجبه أحد. وظل يقترب من كل باب. ومن خلف أحدها سمع صوتاً يرد "هل أنت بارنز؟"

ووضع ديجي فمه في ثقب المفتاح وقال:

- إنني لست بارنز.. إنني ديجي.

وسمع ستون يصدر آهة ويقول:

- لا شك أن بارنز قد مات.. إنني أحلم.

- هل أنت بخير يا ستون؟

وقال ستون بصوت خفيض سمعه ديجي بصعوبة بالغة:

- لقد مر علي وقت عصيب.. حقاً إنه وقت عصيب.. إنني لم أقصد أن أمتنع عن الطعام.

- أرجوك ان تقترب من الباب حتى أستطيع سماعك.

وقال ستون:

- إنهم قيدوني في أحد هذه "القمصان" وقالوا إنني خطير. إنها خيانة عظمى. إنني أعرف يا عزيزي أن بي مسا وكلنا هنا بنا مس ولكني لست مجنوناً.

- ماذا فعلت؟

- إنني لم أفعل شيئاً.. لقد ذهبت إلى البحيرة إذ لم أحتمل أن أتركها هكذا وهي موقع استراتيجي.

- وماذا بعد؟

- إنني لم أقصد أن أخفيهم.. لقد فزعوا عندما رأوني..

- من الذي فزع؟

- لقد كان الدكتور فورستر وبول هناك. لقد كانوا يفعلون شيئاً ما في الظلام. إنهم كانوا يحفرون.

وسكت عن الكلام، وأخذ يبكي. إن سماع رجل يبكي بصوت مرتفع من وراء باب مغلق أمر يثير الرهبة.

وسأله ديجي:

- وماذا كانوا يحفرون؟ إنك كنت تحلم.

- إن هذه الأنبوبة.. إنها مرعبة. لقد امتنعت عن الأكل خوفاً من السم.

- أي سم؟

- الخيانة العظمى. أنصت إلي يا بارنز..

- إنني لست بارنز.

ومرة أخرى تنهد وقال:

- بالطبع لست بارنز.. إني آسف.. إن بي مسا.. وربما كانوا على صواب.

- ومن هو بارنز هذا؟

- إنه رجل طيب. لقد قبضوا عليه على الشاطئ. لا فائدة يا ديجي إني مجنون. إن حالتي تسوء يوماً بعد يوم.

وسمع ديجي صوت سيارة تقترب فوضع فمه في ثقب الباب وقال:

- أنصت إلي، إني لا أستطيع البقاء لقد عاد الدكتور. إنك لست مجنوناً، وليس من الصواب وضعك في هذا المكان، وسأحاول أن أخرجك من هنا.

- إنك رجل طيب يا ديجي.

- إنهم هددوني بهذا المصير أيضاً.

- هددوك أنت؟ إنك عاقل تماماً. يا إلهي فربما لا أكون مجنوناً. إنهم إذا كانوا يريدون وضعك هنا فإن وراء الأمر خيانة.

- أرجو أن تصمد وتقاوم.

- إنني سأصمد ولكني لست متأكدا، فربما كانوا على صواب.

- أليس لك أقارب؟

- لا أحد. لقد كان لي زوجة ولكنها ذهبت. إنها على صواب نعم إنها على صواب، هناك خيانة ولا شك.

- سأحاول أن أخرجك من هنا ولكني لا أعرف كيف.

- هذه البحيرة يا ديجي أرجوك أن تراقبها.. إنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً وأنا هنا. آه لو أن معي الآن خمسين جندياً من الأشداء..

- سأراقب البحيرة فلا تقلق.

- لقد كنت أخشى أن يكون العدو قد استولى عليها، إنني مرتبك التفكير.

- يجب أن أذهب الآن وكل ما أطلبه منك هو أن تصمد.

- سأصمد. لكني لا أريدك أن تذهب.

- سأعود مرة أخرى.

واجتاحه شعور عارم بالشفقة على هذا الرجل. وشعر أنه يستطيع ارتكاب جريمة من أجل اطلاق سراح هذا المخلوق الذي يتألم ويتعذب، وتخيله وهو يسير في وحل البحيرة هذه المشية العسكرية التي لم تؤثر فيها حالة الجنون.

وعاد ديجي أدراجه من نفس الطريق الذي جاء منه. ومر أمام حجرة جون ورآها لازالت مضيئة ولا أحد بها. ولم يكن ديجي يخاف جون لذلك فقد دخل حجرته وأخذ يتصفح الصحف المكدسة على المنضدة. وكانت الصحف تنشر أخبار الاستجواب الذي حدث في البرلمان عن الوثائق التي اختفت طوال النهار وظهرت بعد الظهر، وأخذ ديجي يقرأ ما في الصحف ولكنه لم يكن يتذكر الأسماء الضخمة التي تدور حولها هذه الأحداث.

وفي إحدى الصفحات رأى صورة كبيرة مكتوب تحتها صورة روي الذي يريد البوليس التحدث إليه بخصوص، ولكن ديجي لم يكن تهمه هذه المسائل الفردية. ونظر إلى الصورة قليلاً قبل أن يضع الصحيفة أنها صورة شخص نحيف الجسم حليق الذقن.

ودخل عليه جون.

- مساء الخير يا جون.

- ماذا تفعل هنا يا ديجي؟

- أقرأ الصحف.

- لكنك سمعت الدكتور يقول...

- ليس هذا سجناً يا جون، باستثناء ستون البائس. إنها مصحة وليس هناك أي شيئ ضدي سوى أني فقدت ذاكرتي نتيجة للقنبلة.

وأنصت إليه جون باهتمام، واستطرد ديجي يقول:

- إنني لا أجد سبباً يمنعني من زيارتك وقت أن أريد زيارتك وأتحدث إليك.

- إن المسألة ليست بهذه السهولة.

- وهل للمسألة وجه آخر أطلعك الدكتور عليه؟

- على أية حال يجب على المريض أن ينفذ تعليمات طبيبه.

- والمريض أيضاً يستطيع أن يبدل طبيبه. إنني قد قررت أن أغير طبيبي.

- أرجوك يا ديجي ألا تقدم على حماقة.. أن الطبيب رجل عظيم ولقد عانى كثيراً. وربما هذا هو سبب تصرفاته الغريبة. وأن من الأفضل لك أن تبقى هنا ولا شئ نستطيع فعله أفضل من ذلك.

- إنني ذاهب يا جون.

ورد عليه جون متوسلاً:

- أرجوك أن تبقى هنا شهراً آخر.. لقد بدأت تتحسن حتى جاءت تلك المرأة.. أرجوك أن تمد بقاءك هنا شهراً آخر. إنني سأتحدث في هذا إلى الطبيب. إنه ولا شك سيسمح لك بقراءة الصحف. وربما سمح لها هي الأخرى بالحضور. أرجوك أن تدع لي فرصة تسوية هذه المسائل مع الدكتور فورستر. إنني أعرف كيف أؤثر عليه. فهو رجل حساس للغاية.

وسأله ديجي في هدوء:

- خبرني يا جون لماذا تخشى أن أذهب؟

ورد جون منفعلا:

- إنني لا أخاف ذهابك _ إنني أخاف أن يمنعك هو من الذهاب.

ومن بعيد أتى صوت سيارة تقترب. وقال ديجي:

- وما الذي يخيف الدكتور؟ لا شك أن هناك سرا. أن ستون قد رأى أشياء غريبة تقع ولذلك فقد وضعه في قسم المجانين؟

- إن الدكتور فورستر فعل ذلك حرصا على مصلحه ستون. الدكتور رجل عظيم يا ديجي.

- إنك لم تر ذلك المكان المسمى قسم المجانين؟

- وهل رأيته أنت؟

ورد جون:

- لا يسمح لأحد برؤيته.

- وهل تفعل يا جون كل ما يطلبه الدكتور فورستر حرفيا؟

- إنه رجل عظيم يا ديجي. إنك لا تفهمه. إن العقول آلات دقيقة حساسة وإن أتفه الأمور تقلب هذه المسألة رأسا على عقب فيختل عملها. ويجب عليك أن تثق في الدكتور.

- إنني لا أثق فيه.

- أرجوك لا تقول هذا الكلام، إنك تعرف مقدار كفاءته ومقدار عنايته بمرضاه. إنه يعمل على مساعدتك وحمايتك إلى أن يشد عودك..

- لقد رأى ستون أشياء غريبة تحدث ولذلك أرسل به الدكتور إلى قسم المجانين.

ورد جون:

- لا، ليس هذا حقيقيا. إن الدكتور فورستر رجل عظيم ولقد عانى كثيرا من حقد الآخرين وحسدهم.

- اذهب وأسال ستون عما راه.

- آه لو تعلم يا ديجي..

ولكن جون لم يكمل جملته بل أكملها له صوت الدكتور فورستر الذي دخل عليهما دون ينتبها إلى ذلك وقال الدكتور:

- أعتقد أن الوقت قد حان ليعرف.

وأسرع قلب ديجي في دقاته. وقال جون:

- إنني لم أسمح له بترك حجرته يا دكتور فورستر.

وأخذ دكتور فورستر يخلع القفاز من يديه وأردف يقول:

- إنني أعرف إنك وقفت إلى جانبي بعد انتحار كونوي. إنني لا أنسى أصدقائي. هل أخبرت ديجي عن انتحار كونوي؟

وقال جون:

- لا لم أخبره.

لكنه يجب أن يعرف الآن. إنها مسألة تهمه معرفتها. إن كونوي كان يعاني مثلك يا ديجي من فقدان الذاكرة. لقد أصبحت الحياة قاسية عليه. وكان سلاحه الوحيد لمجابهة قسوة الحياة أن يفقد ذاكرته. وحاولت أن

أقوي عودي واجعله صلبا يستطيع أن يقاوم أحداث الحياة وصعابها استعدادا لمواجهتها عندما يستعيد ذاكرته. ولكن مجهوداتي كلها ضاعت مع كونوي. وسيخبرك جون كم كنت صبورا معه لكنه كان لا يحتمل وأنا إنسان قبل كل شيئ ولقد جعلني أفقد سيطرتي على أعصابي يوما فكشفت له عن كل شيئ وفي تلك الليلة نفسها انتحر. وهكذا ترى أنه لم يعط نفسه الفرصة الكافية للشفاء. ونجم عن ذلك كثير من المتاعب إلا أن جون وقف إلى جانبي.

ولكن دكتور فورستر يتكلم بصوت هادي النبرات لطيف المخارج وكأنه يلقي محاضرة عن موضوع مجرد بينما امتدت أصابعه إلى إحدى الصحف وأخذ يمزقها شرائح طويلة. وقال ديجي:

- لكن حالتي تختلف من حاله كونوي يا دكتور فورستر. إن الذي أفقدني ذاكرتي تلك القنبلة، وليست هناك أي متاعب.

ورد عليه دكتور فورستر:

- وهل تعتقد ذلك؟ أظن أنك تعتقد أيضا أن الذي أطار صواب ماجور ستون هو طلقات الرصاص ودوي المدافع، لا. ليس كذلك يعمل العقل البشري. إننا نحن الذين نجلب على أنفسنا حالة الجنون. لقد فشل ماجور ستون وشعر بعار الفشل ولذلك فهو نتيجة لخيانة ستون ولا أحد غيره...

وقال ديجي:

- وهل لديك شيئا تخبؤه لي يا دكتور فورستر وستصدمني بكشفه لي؟.. هلا أخبرتني ماذا كنت تفعل أنت وبول في الليل عند البحيرة عندما رآكما ستون؟ وكنتما تحفران؟

ونظر إليه دكتور فورستر وفمه مفتوح، وقال جون:

- أرجوك يا ديجي أن تذهب إلى فراشك الآن ودع الحديث إلى الغد صباحا.

وقال ديجي وهو ينظر الي بيجامته:

- إنني على استعداد للذهاب إلى فراشي.

وقال دكتور فورستر:

- انتظر. إنني لم أكشف لك بعد. إنك عندما تعرف الحقيقة سيكون أمامك أن تختار بين طريقة كونوي وهي الانتحار أو طريقة ماجور ستون وهي الجنون. إن في قسم المجانين متسعا...

- كان ينبغي أن تذهب أنت إلى هناك يا دكتور فورستر.

وقال دكتور فورستر:

- إنك غبي.. إنك غبي يجب أنني أراقب مرضاي. وأي فائدة ترجى من هذا الحب يا ديجي؟ إنك لا تعرف حتى اسمك الحقيقي.

ثم أشار إلى صحيفة في يده واستطرد يقول:

- انظر، ها أنت. إنك قاتل. اذهب وفكر في هذا.

ونظر ديجي الصورة في الصحيفة وقال: "إنها ليست لي".

وقال دكتور فورستر:

- أنظر في المرأة. ثم حاول أن تتذكر. فهناك الكثير الذي يجب عليك أن تتذكره.

وقال جون محتجا:

- ليست هذه هي الوسيلة يا دكتور.

وقال دكتور فورستر.

- إنه هو الذي اختار هذه الوسيلة. تماما كما فعل من قبله كونوي

ولكن ديجي لم يسمع ما قاله جون فقد خرج من الحجرة مهرولا واصطدم في أحد المقاعد وسقط على الأرض ولكنه قام وأسرع إلى حجرته، إنه كان في حاجة إلى مرآة ليرى فيها نفسه. وواجهته صورة رجل نحيف له لحية في المرأة. إن الدكتور قد أخطأ ولا شك. إنه لا يفهم شيئا ولا يستطيع أن يربط الأحداث بعضها ببعض. إن صورته في المرأة ليست هي صورة القاتل الذي في الصحيفة. وما علاقته هو بهذا الاسم "روي" المكتوب تحت الصورة.. ثم تذكر ما قالته آن له "إن هذه هي وظيفتي يا روي" ووقتها لم يدرك لماذا نادته هكذا "يا روي". ووضع يده على لحيته وأخفاها، إن وجهه

يطابق الصورة. إن الأنف الطويل المقوس العينين الحزينتين تماما كما في الصورة. وقال "إنني روي"

وقارن مرة أخرى بين صورته في المرآة من غير اللحية وبين الصورة المنشورة في الصحيفة وقال "إنني روي.. ولكنني لن أفعل ما فعله كونوي... وكذلك لن أفعل ما فعله ستون" وأغمض عينيه وبدأ يتذكر ويستعيد الصور. لقد تذكر بول.. تذكر ذلك الأحدب الذي زاره في البيت وأخذ يأكل من التورتة في حذر.. تذكر دكتور فورستر.. تذكره وهو ينحني على شخص ينزف منه الدم. تذكره وهو يقول "لا تطلبي طبيبا فأنا طبيب وأعتقد أنه يجب أن تستدعوا رجال البوليس"

وبدأت الصور تتزاحم في ذاكرته يريد أن تخرج إلى النور دفعة واحد، قطع وشرائح

الفصل الأول

موت على الطريقة الرومانية

سار روي خلف الرجل ذي الرداء الأزرق، وصعد درجات السلم وفي الدهليز الذي يقع على جانبيه أبواب. وبغض هذه الأبواب كانت مفتوحة وبعضها الآخر كان مغلقا. وكان في الحجرات المفتوحة كل منها منضدة وثلاثة مقاعد ولا شيء غير ذلك وفتح الرجل أحد الأبواب وقال لروي:

- انتظر هنا لحظة يا سيدي

كان الوقت مبكرا وكانت السماء زرقاء صافية، وكانت آخر أذيال النجوم تختفي

وجلس روي وقد عقد يديه بين ركبتيه في حالة انتظار.. إنه ليس إنسانا مهما، إنه لم يصبح مكتشفا، إنه مجرد مجرم. إن الجهد الذي بذله للوصول إلى هنا قد أنهكه كثيرا. إنه لا يستطيع أن يتذكر بوضوح ماذا فعل حتى وصل إلى هنا.

إنه يذكر الطريق الطويل في الظلام إلى المحطة. وكان يرتعد كلما سمع صوت إحدى الأبقار تخور من خلف سور أو بومة تصيح ويذكر أنه أخذ يقطع وصيف المحطة جيئة وذهابا في انتظار القطار. وطلب منه كمساري

القطار التذكرة ولكن لم يكن معه تذكرة وإلا نقود لشراء تذكرة سفره. وكل ما يعرفه هو اسمه، أما عنوانه فلا يعرف له عنوانا. وظهر الكمساري عطفا عليه وكان لطيفا معه، وربما سبب ذلك أنه كان يبدو مريضا. وسأله عما إذا كان له أصدقاء سيذهب إليهم، ورد عليه روي بأن ليس له أصدقاء. بل قال:

- أريد أن أذهب إلى قسم البوليس

وقال له الكمساري مندهشا:

- ولكن لماذا تسافر إلى لندن لتذهب إلى قسم البوليس؟

ومرت لحظات شك وخاف روي أن يجبر على العودة. واستطرد الكمسارى يقول :

- إنك أحد مرضى الدكتور فورستر أليس كذلك؟ إنك إذا نزلت في المحطة القادمة فسيطلبون لك عربة بالتليفون، ولن يتأخر وصول العربة أكثر من ثلاثين دقيقة.

وقال روى مذعورا:

- لا

- أعتقد أنك ضللت طريقك سيدي، ولكن لا بأس فإن الدكتور فورستر رجل كريم الأخلاق.

جمع روي كل شجاعته وقوته وقال:

- إنني ذاهب إلى سكوتلانديارد.. إنهم يبحثون عني. فإذا أنت وقفت في طريقى فستكون أنت المسئول

وعلى رصيف المحطة التالية رأى جون، ولمحه جون فاقتربة منه وقال:

- أرجوك أن تنزل.. إن معي عربة في انتظارك.. وستعود في لحظات.

- إنني لن أعود

- لقد ارتا ع الدكتور عندما عرف بذهابك.. لقد كان متعبا منهكا، ولذلك فقد فقد أعصابه معك لكنه لم يكن يعني شيئا مما قاله.

- إنني لن أعود.

واقترب أحد حراس القطار وكان واضحا أنه على استعداد لمد يد المساعدة إذا ما احتاج الأمر إلى استعمال القوة. ونظر إليه روي وقال:

- إنك لا تستطيع أن تخرجني بالقوة من القطار

وقال جون:

- لا بأس، لا بأس.. حالفك الحظ.

وتحرك القطار بينما وقف جون مكانه على الرصيف جامدا.

وشعر روى براحة فلقد انتهت كل المتاعب وكل ما بقي هو أن يقدم للمحاكمة بتهمة القتل.

وفُتح الباب، وخرج رجل ممتلئ الجسم وفي يده ورقة كان روي قد ملأها حال وصوله إلى مركز البوليس. وقال الرجل:

- إنك السيد روي. إننا سعداء لحضورك بعد كل هذا الوقت.

ونادى على أحد الكونستبلات وقال له:

- إذا كان بيفس في نوبتجية الآن فأخبره أن يحضر فوراً.

ودخل الرجل الحجرة ومعه روي وجلس الاثنان دون كلمة، وكان واضحا أن التحقيق لن يبدأ معه قبل حضور شاهد. ثم دخل رجل ومعه ورقة وقلم وجلس على مقعد. إنه الكونستابل بيفس.

وقال الرجل الأول:

- إنك أتيت إلى هنا يا سيد روي بمحض إرادتك لكى تدلى ببعض الأقوال؟

وقال روى:

- لقد رأيت صورتى في أحدى الصحف..

- لقد طلبنا أن تحضر الينا من شهور مضت.

- إننى لم أعرف ذلك الا مساء أمس فقط.

- يبدو أنك كنت منقطعا عن العالم

- كنت في مصحة..

- وما هي هذه المصحة؟

- إنها مصحة الدكتور فورستر.. ويبدو أنني أصبت في غارة جوية ونتج عن الإصابة فقدان في الذاكرة.. وفجأة وجدت نفسي في تلك المصحة وقالوا لي أن اسمي "ديجي". إنني لم أستطع أن أعرف صورتي عندما رأيتها فقد كانت لحيتي طويلة أما الصورة فقد كانت حليقة...

- آمل أن تكون قد عادت إليك ذاكرتك.

- إنني أستطيع تذكر بعض الأشياء وليس كلها.

وقال الرجل متهكما:

- إنها ذاكرة مفيدة على هذه الصورة.

ورد روي غاضبا:

- إنني سأحاول أن أسرد عليك كل شيء... إن القانون الإنجليزي يعتبر المتهم بريئا إلى أن تثبت إدانته. وإني على استعداد أن أخبرك بكل شئ أستطيع تذكره عن الجريمة. لكنني لست القاتل.

وابتسم الرجل وقال وهو يعبث بأصابعه:

- إنك تتكلم يا سيد روى عن جريمة قتل ولكنى لم أذكر شيئا اطلاقا عن أية جريمة قتل ولم تذكر أية صحيفة شيئا من هذا القبيل.

- إنني لا أفهم شيئا.

وقال الرجل للكونستابل بيفس:

- اقرأ له الكلام الذي قاله الآن.

وقرأ بيفس من ورقة أمامه.

أنا روي قد كتبت هذا الكلام بمحض إرادتي. لقد علمت بالأمس ولأول مرة أن البوليس يبحث عني. لقد كنت طوال ذلك الوقت في مصحة يشرف عليها الدكتور فورستر دخلتها منذ أربعة أشهر أعاني من فقدان الذاكرة نتيجة لغارة جوية. إنني استعدت ذاكرتي بعض الشيء. وأريد أن أدلي بكل ما أعرفه عن جريمة القتل..

وقال الرجل:

- ليس هناك تغيير فيما قلته.

- لا...

- وستطلب منك في النهاية أن توقع على هذا الكلام. والآن قل اسم الرجل الذي قتل.

- إنني لا أتذكره.

- ومن قال لك أن البوليس يبحث عنك متهما بجريمة قتل

- دكتور فورستر

ودهش رجل البوليس من هذه الإجابة، وكذلك تملكت الدهشة جميع مشاعر بيفس وقال رجل البوليس:

- هل هو دكتور فورستر الذي أخبرك بذلك؟

وأجاب روي: نعم

- وكيف عرف الدكتور فورستر؟

- أعتقد أنه قرأ ذلك في الصحف.

- إننا لم نذكر جريمة قتل في الصحف.

وأمسك روي برأسه بين يديه وأخذ يعتصرها وقال:

- إنني لا أفهم شيئا..

وقال رجل البوليس:

- أرجوك أن تخبرنا بكل شئ. كل شئ تتذكره دون أن تكلف نفسك مشقة ترتيب الأحداث.

وبدأ روى يتكلم:

- سأقول ما يأتي في ذاكرتي. أولا هناك بول وهو يعمل الآن مساعدا للدكتور فورستر في قسم المجانين، وأعتقد أنني قابلته قبل ذلك قبل أن أفقد ذاكرتي. وأستطيع أن أتذكر حجرة صغيرة غير أنيقة.. أعتقد

أنني كنت أعيش فيها وأتذكر أنني كنت أشعر بالحزن والخوف والخطر. وأتذكر شيئا مذاقه غريب.

وسأله رجل البوليس:

- ما هو هذا الشيء ذو المذاق الغريب؟

- كنا نشرب الشاى وكنت أريد أن أعطيه شيئاً.

- وما هو هذا الشئ؟

- إنه قطعة من التورتة.

- قطعة.. من التورتة؟

- نعم قطعة من التورتة.. ثم حدث شئ..

وتوقف روى عن الكلام، وقد بدا عليه الإرهاق الشديد.

وقال له رجل البوليس:

- هل تحب قدحا من الشاى؟

- نعم فإني متعب.

- اذهب يا بيفس واحضر قدحا من الشاي وبعد البسكويت وقطعة من التورتة.

ولم يتكلما إلا بعد أن عاد بيفس بالشاي والتورتة. وما أن رأى روي التورتة حتى قال:

- لقد تذكرت أن التورتة التي أكل منها الرجل الأحدب كنت كسبتها. لكن أين كسبتها؟.. إنني أذكر الآن حجرة أطفئت أنوارها وجلس أناس على مقاعد في وسطها، وسمعنا أصواتا، ثم أضيئت الأنوار وكان هناك رجلا مقتولا.. إنكم تظنون أنني القاتل لكنني لم أقتله.

- وهل تتذكر وجه هذا الرجل الذي قتل؟

- أعتقد ذلك.

وأمر رجل البوليس بيفس أن يحضر مجموعة من الصور وقال رجل البوليس لروي:

- أنظر إلى هذه المجموعة من الصور وحاول أن تخرج صورة القتيل من بينها.

وأخذ روي يقلب الصور الواحدة تلو الأخرى وبعد فترة طويلة وقف أمام صورة أخذ يحملق فيها وقال مذعورا:

- ها هي صورته.

وقال رجل البوليس وهو ينظر إلى الصورة، وكان صوته غاضبا خشنا:

- هراء. إنك تضيع وقتنا. إن هذا الرجل لايزال على قيد الحياة ولم يمت بعد.

وصاح روي غير مصدق ما سمعه:

- أتقول أنه لا يزال حيا لم يمت؟

- إنه لا يزال على قيد الحياة. وإني أعجب لماذا اخترت صورته؟

- في هذه الحالة فإنني لم أعد مجرما ولا قاتلا... ولكن خبرني هل كان جرحه بالغا؟

- هل تعني حقا ما تقوله أنني لا أعرف عن أي شيء تتكلم؟ ولا أين حدث ما حدث؟ ولا متى؟ أرجوك أن تخبرني بكل شيء

- إنني أتذكر الآن.. لقد كان هذا في بيت مسز ببليرز، وكان في جلسة لتحضير الأرواح.. وكان هناك أيضا الدكتور فورستر.. وهو الذي قال أن الرجل قد قتل وأنه يجب استدعاء البوليس.

- وهل هو نفس الدكتور فورستر الذي نزلت في مصحته؟

- هو بعينه.

- ثم سهلوا لك عملية الهروب؟

- تماما.

- ومن الذي ساعدك على الهرب؟

وبدأت ذاكرته تعود بقوة فلم يعد يخشى شيئا، وكان ذهاب الخوف عنه قد فتح الأبواب أمام ذاكرته لتتدفق. وتذكر شقيق آن السيد هيليف. لكنه أشفق عليه ولم يكشف اسمه للبوليس وقال:

- إنني لا أذكره الان.

وقال رجل البوليس برنتيس

- إن صورة الرجل التي أشرت إليها لشخص اسمه كوستا، ولكن خبرني هل كانت مصحة دكتور فورستر مصحة جيدة؟

- إنها جيدة طالما لا تتشاجر مع الدكتورة.

وقهقه برنتيس ضاحكا وهو يقول:

- تماما.. تماما.. وماذا بعد؟

- إنك إذا تشاجرت تجد نفسك في قسم المجانين.

- هذا رائع... ولكن هل لديك شكوى ضد المصحة؟

- لا.. فقد عاملوني معاملة طيبة.

- إننا لا نستطيع أن نفتش المكان طالما لم يتقدم أحد بشكوى.

- وكم أتوق لرؤية تلك المصحة وما يجري فيها.

- إنهم إن أدخلوك قسم المجانين فلا أمل إطلاقا فإنك لم تكن مجنونا بالفعل لجعلوا منك مجنونا في وقت قصير... إنهم يحتجزون هناك الآن رجلا في قسم المجانين. إن اسمه ماجور ستون. لقد ألبسوه قميص المجانين. ولقد قال أنه رأى دكتور فوستر ومساعده بول يحفرون في الظلام بالقرب من البحيرة. فهل من الصعب إنقاذه؟

- إن الأمر يحتاج إلى شئ من التدبير. ولكن من هو بول؟

- إنه مساعد الدكتور فورستر. وأذكر أنه جاء إلى بيتى يوما قبل أن أفقد ذاكرتي وطلب استرداد التورتة. وكان هناك غارة جوية وأتذكر أنه حاول قتلي لأنني رفضت إعطاءه التورتة.

- ومن أين جاء هذا الرجل؟

- لا أتذكر.

- إذن نعود إلى قصة كوست وكيف أنهم أوهموك أنه قتل.

- وماذا حدث بعد ذلك؟.

وسرد عليه روي كيف هرب من بيت ببليرز. ثم سأله برنتيس:

- لكن كيف فقدت ذاكرتك؟

- لقد قالوا لى إن سبب ذلك انفجار قنبلة ترك هذا الجرح في جبهتي.

- وهل كنت بمفردك؟
- لا.
- ومن كان معك عندئذ؟
- امرأة.

وأدرك روي أنه لا يستطيع الآن أن يخفي اسم آن ولا أخيها هيلف. وقال:

- اسمها آن هيلف.
- ولماذا كانت معك؟
- أعتقد أننا كنا أحباء.
- هل تعتقد ذلك؟
- لا أذكر.
- هل تذكر أنك قابلتها في فندق ريجال كورت؟
- نعم هو بعينه. ولكن أرجوك أن تخبرني بحقيقة ما حدث؟
- سأخبرك في الوقت المناسب.

وخرج برنتس وغاب بعض الوقت وعاد ومعه رجل آخر وقال:

- إنه دافيز. ألا تذكر أنك رأيته يا روي؟

- لا، لا أذكر أنني رأيته قبل الآن.

- بل رأيته.. إنه رجل الاستقبال في فندق ريجال كورت.

ثم نظر برنتيس إلى روي ودافيز وقال لهما:

- هيا بنا.. سنخرج الآن نحن الثلاثة إلى مكان ما.

وقال روي:

- أرجوك أن تخبرني أين نحن ذاهبين وما هي حقيقة ما حدث؟

- سأخبرك بذلك في التاكسي.

واستقل الثلاثة تاكسي، وفي الطريق قال برنتيس:

- إننا سنذهب إلى محل لحياكة الملابس وسأدخل أنا أولا..

وبعد خمس دقائق ستدخل أنت يا روي لتسأل عني، وبعد ذلك يدخل دافيز.. وسأله روي:

- خبرني أولا ما حدث.

واستطرد برنتيس يقول:

- إن هناك جماعة من الجواسيس استطاعت أن تلتقط صورا لوثيقة سرية.. إنكم تذكرون هذه الوثيقة التي اختفت من الصباح حتى بعد الظهر ونشرت عنها الصحف ونشرت كذلك عن أخبار الاستجواب في البرلمان.

إن الفيلم الذي أخذ لهذه الوثيقة وضع في التورتة التي كسبها روي خطأ من الحفل الخيرى للأمهات الأحرار. فلقد حدث خطأ وأعطت مسز ببليرز كلمة السر وهى وزن التورتة لروي... وعندما وجد رجال العصابة أن روي يحاول اقتفاء أثرهم أوهموه أنه قتل كوست ثم أوحي إليه بالهرب والاختفاء حتى يبعد عن طريقهم. ولكنه ظهر مرة ثانية فدبروا خطة في ريجال كورت. وعندما فقد ذاكرته اكتفوا بذلك دون قتله وألقوا به في مصحة دكتور فورستر.

وعلى بعد بضعة أمتار من محل حياكة الملابس أوقف برنتيس التاكسي وطلب منهما أن ينزلا، وقال:

- الآن سأدخل أنا بمفردي وتنفذوا ما طلبته منكما وتراقبا المكان لعلكما تجدا شخصا تعرفانه.

ودخل برنتيس المحل، وبعد خمس دقائق دخل روي ورأى رجلا واقفا خلف منضدة فقال له:

- إن صديقي في الداخل فهل تسمح لي بانتظاره؟.

ونادى رجل على آخر بالداخل قائلا:

- كوست.. تعال يا كوست فهاك رجل يريد أن ينتظر أحد العملاء.

وجاء كوست ونظر إليه روي.. إنه هو الشخص الذي ادعي أنه مات في بيت مسز ببليرز... إنه لم يمت. وها هو بدمه ولحمه. لكن يبدو أن كوست لم يتعرف على روي.

وبعد فترة وجيزة دخل ديفيز. ورآه كوست ولكنه لم يبد عليه أنه عرفه هو الآخر.

وتقدم كوست من تليفون على المنضدة وراقبه روي وهو يدير القرص واستطاع أن يلتقط جميع الأرقام ما عدا رقما واحدا. وقال كوست في التليفون.

- أنا كوست. إنني لا أستطيع أن أعيد لك البنطلون، فأنا شخصيا ليس لي أمل يا سيدى. لا أمل بالمرة

ووضع سماعة التليفون وأخذ المقص الموضوع على المنضدة وسار في الممر الطويل المؤدى إلى باقي الحجرات. وصاح دافيز من ورائه:

- يا سيد ترافيرز..

لكن كوست، أو ترافيرز، لم يرد. واختفى في إحدى الحجرات.

ونادى روي على برنتيس.. وأسرع ثلاثتهم وراء كوست في الحجرة التي دخلها ولكن الوقت كان متأخرا. لقد وجدوه وقد وضع المقص بين ركبتيه وارتمى برقبته عليه ومات.. إنها ميتة على الطريقة الرومانية.

وتذكر روي ما قاله كوست _ أو ترافيرز _ في التليفون

- أنا شخصيا ليس لدي أمل يا سيدي... لا أمل بالمرة.

الفصل الثانى

المطاردة

أسرع التاكسي يحمل برنتيس وروي متجهين إلى بيت مسز ببليرز.. وقال برنتيس برما:

- إننا نريد القبض عليهم أحياء فلا فائدة من العثور عليهم موتى.

ورد روي:

- لقد فاجأنا بقتل نفسه إنني لم أكن أتوقع أن أرى كوستا في ذلك المكان.

وما إن اقترب التاكسي من البيت حتى تذكره تماما.. تذكر الحديقة التي تحيط به وتذكر ما رآه من أثاث داخل البيت. وفتح لهم الباب خادم ودخلا في حجرة غير التي جرت فيها الجلسة وكانت مسز ببليرز تجلس على أحد المقاعد وقد وضعت وشاحا أسودا حول رأسها ورقبتها. وقال برنتيس:

- لقد أحضرت لك يا سيدتى ضيفا تعرفينه.

ولكن مسز ببليرز لم ترفع رأسها وظلت تهز نفسها وهي جالسة على مقعدها، واقترب منها برنتيس وربت على كتفها وهو يقول:

- هزي نفسك ما حلى لك يا سيدتي فلا فائدة من ذلك.

وقالت مسز ببليرز بعد صمت طويل وبصوت مختنق النبرات

- إننى لم أر هذا الرجل من قبل..

- لا تقولى هذا، لقد قرأت له الطالع يوما ألا تتذكرين؟

وشعرت مسز ببليرز ببعض الراحة التي ارتسمت على وجهها في صورة أمل.. ربما قد جاء لها رجل البوليس هذا المساء لمجرد قراءة الطالع وهذه جريمة بسيطة بل لا تعد جريمة إذا اكتفت بقراءة الماضي والحاضر وامتنعت عن قراءة المستقبل. وقالت:

- هل كل هذا الصخب لأني قرأت له الطالع؟ إنني فعلت ذلك من أجل أهداف خيرية.

وقال برنتيس متهكما :

- لا شك في ذلك. إننا نصدقك.

- ولقد امتنعت عن قراءة المستقبل.

ورد عليها برنتيس ساخرا:

- آه لو كنا نستطيع استكشاف ما يخبؤه المستقبل...

- إنني كشفت له فقط عن شخصيته..

وقال برنتيس متهكما:

- وكشفت له أيضا عن وزن التورتة ... والجلسات الروحانية.

وقالت مسز ببليرز:

- في سبيل العلم أعقد هذه الجلسات.

- هل لا تزال المجموعة تجتمع عندك؟

- مساء كل يوم أربعاء.

- وهل تغيَّب منهم أحد؟

واستطرد برنتيس يقول:

- والسيد كوست. لا أعتقد أنه يحضر هذه الجلسات.

وقالت مسز ببليرز:

- لقد تذكرت الآن. إنني أعرف هذا الرجل... لقد كان كوست يهزر معه.

- يجب أن تتصلي به وتسألينه لماذا قطع رقبته هذا الصباح.

وقالت مسز ببليرز مذعورة:

- تقول أنه قطع رقبته؟

وفي تلك الأثناء دق جرس التليفون وأمرها برنتيس أن ترد هي وأمسكت ببليرز بالسماعة وأنصتت لحظة ثم قالت وفمها بالقرب من سماعة التليفون:

- إن المتكلم هو دكتور فورستر فماذا أقول له؟

وأخذ برنتيس السماعة منها ووضعها مكانها وهو يقول:

- لا فائدة من هذه الألاعيب.

- إنني كنت اسألك انت .

والتفت برنتيس إلى أحد مساعديه وقال آمرا:

- اطلب سيارة من سكوتلانديارد؛ فيبدو أن البوليس المحلي هناك لم يهاجم المصحة. إننا سنترك لك مسز ببليرز راقبها ولا تتركها تقتل نفسها هي الأخرى فإننا سنحتاج إليها حية.

والتفت إلى روي وقال:

- إنني قلق على صديقك ستون.

ودخل برنتيس حجرة مسز ببليرز وأخذ يقلبها رأسا على عقب، ويفتش في كل ركن فيها ويشق كل وسادة... ويفتح كل مكان يعتقد أن الفيلم يمكن أن يخبأ فيه... وكان يحطم كل شئ يقابله ليتأكد من أن الفيلم ليس بداخله. ولم يوقف هذا التحطيم سوى صوت سيارة سكوتلانديارد التي طلبها ونظر إلى روي وقال:

- أريدك أن تأتي معي لتتعرف على الأشخاص.

وأسرع الاثنان يركضان السلم قفزا ولمح برنتيس خادمة مسز ببليرز تقدم لها قدحا من الشاي فعاد مسرعا وجذب القدح من يدها وحطمه وهو يقول لمساعده:

- ابحث في كل مكان حتي في هذا القدح فإن يد مقبضه مجوف ومن الممكن ان يخبأ فيه الفيلم.

وقالت مسز ببليرز غاضبة:

- إنك ستدفع ثمن هذا.

ورد عليه برنتيس:

- بل أنت التي ستدفعين الثمن غاليا يا مسز ببليرز. إن إعطاء معلومات للعدو تعتبر خيانة عقوبتها الإعدام.

- لكنهم لا يعدمون النساء.

- إنهم يعدمون الكثيرين.. أكثر مما تتحدث عنهم الصحف.

* * *

أسرعت السيارة تقل برنتيس وروي خارجة من لندن في طريقها إلى مستشفى الدكتور فورستر. وقبع برنتيس في مكانه من السيارة وقد غمره شعور بالفشل... وبدأ الظلام يزحف وهم ما زالوا في الطريق الطويل

الممل. وغاب روي في تفكير عميق.. إن المغامرة قد استهوته، وتذكر قصص المغامرات التي قرأها فكلها انتهت نهاية سعيدة.. ثم سأل برنتيس:

- أعتقد أن شيئا لن يحدث هناك... ولا شك أن بوليس المنطقة قد قام بواجبه.. أليس كذلك؟

ورد عليه برنتيس:

- إن إنجلترا بلد جميل به كنائس جميلة، ومقابر معتنى بها، ورجل البوليس فيها له حديقة حول بيته وهو ينال جائزة على عظيم اهتمامه بهذه الحديقة...

- هل تقصد..؟

- إن رئيس الكونستبلات هناك خدم عشرين عاما في الجيش الهندي وهو كثير الحديث عن الفرقة التي كان يعمل بها وهو لا يصلح لشيئ سوى الاشتراك في عمل خيري ولا شيئ غير ذلك.

أما مساعده فقد كان يعمل في بوليس العاصمة ثم نقل إلى بوليس الأقاليم دون أن ينال معاشا، ولكنه رجل شريف لا يمد يده للرشاوي ولكن لا بأس من أن يشرب كأسا هنا أو هناك ولا بأس من أن يمتع نفسه.

- وهل تعرفهم يا كابتن برنسيس؟

- نعم أعرفهم ومن يعرف حقيقة الأوضاع في إنجلترا لا يحتاج إلى معرفة هؤلاء الناس معرفة شخصية ليحكم على الأشياء وكيف تجري.

وسأله روي:

- وماذا تتوقع أننا سنجد هناك؟

- إننا سنجد كل شيئ إلا الشيئ الوحيد الذي نبحث عنه وهو الفيلم.

- وهل تعتقد أن دكتور فورستر واحد منهم؟

- لا شك في ذلك... إنهم يستغلونه... وربما هو الذي يحمل معه هذا الفيلم فإذا كان هو فإن المسألة ستكون بسيطة... إنه لا يستطيع أن يخرج من إنجلترا.

- لكنه يستطيع أن يعطي الفيلم لشخص آخر ليخرج به.

- لا، إن المسألة ليست في مثل هذه البساطة.. هذا فضلا عن أن الخروج من إنجلترا في هذا الوقت شيئ يكاد يكون مستحيلا ما لم تكن هناك أسباب ومبررات قوية.

ووصلوا إلى المستشفى، وأمام الباب أوقفهم أحد الجنود وطلب إخراج بطاقة إثبات الشخصية وأخرج برينتس بطاقته فحياه الجندي وسأله برينتس:

- هل كل شئ على ما يرام؟

- ليس كما يجب يا سيدي. إن الكونستابل في الداخل.

وتركا السيارة وأسرعا إلى الداخل، وسار أمامهما الجندي يضئ مشعلا.

وشعر روي بوحشة المكان فكل شيئ صامت هادئ حتى النافورة لا يصدر منها صوت انسياب المياه. وكانت هناك حجرتان فقط مضاءتان أحدهما حجرته حيث قضى بعض الوقت فيها لا يذكر الشطر الأكبر من سني حياته... وانتاب روي شعور بالإثم أنه يعود إلى هذا المكان مهاجما عاديا لذلك شعر بالخجل وقال لبرنتيس:

- أرجوك أن تسمح لي بعدم مقابلة دكتور فورستر..

وقال الجندي الذي يحمل المشعل:

- لا داعي للخوف يا سيدي فإن الدكتور فورستر لا يستطيع أن يعمل شيئا.

ولم يستمع برنتيس إلى ما قاله روي أو جندي البوليس بل أشار إلى سيارة كانت واقفة في الحديقة وسأل الجندي:

- لمن هذه السيارة؟

- إنها للقسيس.

- نعم أعرف ذلك. فهل تلك السيارة التي بالخارج هي سيارتك؟

- نعم.

- إذن فاذهب إلى الأبروشية وابق بها حتى ننتهي من عملنا هنا.

- بالتأكيد. فلا أريد أن أعوق عملكم هنا.

وكان على روي وبرنتيس أن يقفزا من فوق جثة دكتور فورستر ليعبرا الممر إلى الجهة الأخرى.

لقد شعر دكتور فورستر بالخطر الداهم نتيجة قرار مريضه ديجي أو "روي" وساورته الشكوك والأوهام... ولكنه لم يفكر لحظة في الاتصال بالبوليس وإخطارهم بفرار روي.. وتشاور الدكتور مع مساعده بول في الأمر دون أن يشركا معهما جون. وفي عصر ذلك اليوم وصلت الدكتور فورستر مكالمة تليفونية من لندن.. ثم تبعها خطاب أعطاه الدكتور فورستر لجون لكي يلقى به في صندوق البريد. ولاحظ جون حركة غير عادية في القرية.. فقد رأى سيارة للبوليس مكتوب عليها "سكوتلاند يارد" ودعا إلى المصحة وأخبر بول بما رأى... وتذكر أن دكتور فورستر قال في هذا الصباح أن ماجور ستون يعاني من ورم يسبب له آلام حادة لا ينقذه منها سوى الموت. وأحس جون أن الدكتور فورستر يرسم خطة.. لقتل ماجور ستور.. وترابطت الأحداث في مخيلته... المكالمة التليفونية التي تلقاها الدكتور من لندن.. ثم الخطاب الذي طلب منه الدكتور أن يلقي به في صندوق البريد على وجه السرعة.. ثم سيارة سكوتلانديارد في القرية، وفيما هو في تأملاته سمع صرخة مكتومة تصدر من حجرة ماجور ستون. هل قتله الدكتور فورستر؟ وحمل بندقية الحارس وأسرع إلى الجناح الذي به

ستون وقبل أن يصعد الدرج رأى ستون ملقى على الأرض أمام حجرته ورأى دكتور فورستر. وقال فورستر:

- ماذا تريد يا جون؟

لكن جون الذي كان يقدس الدكتور فورستر ويبجله خشي عليه من التعرض للبوليس ومن المحاكمات الطويلة. وأطلق على دكتور فورستر الرصاص من بندقيته ليجنبه هذا المصير.. ورأى بول يتحفز للهجوم عليه فأطلق عليه رصاصة أخرى.. وبدأ البوليس يفتش المكان كله.. وعثروا على حوض من الزجاج به مواد كيمائية في حجرة بول وقال برنتيس:

- في هذا الحوض كانوا يحمضون الأفلام.. أن بول مصور ماهر ولهذا استعانت به العصابة.

ثم اتجه التفتيش إلى المكان الذي قال ستون أنه رأى الدكتور فورستر وبول يحفرون فيه بالقرب من البحيرة. وأخذ ثلاثة رجال يضربون الأرض بمعاولهم. وسأل روي:

- ولكن كيف استطعت يا كابتن برنتيس تحديد المكان..

ورد عليه برنتيس

- إنهم لم يكونوا محترفين في هذه المسائل، مسائل الإخفاء وكان من اليسير اكتشاف المنطقة التي حفروا فيها

وكان الرجال يحفرون في مهل وحذر وقال برنتيس:

- أخشى إننا سنعثر على شيئ كريه وسنطلب منك التعرف عليه.

وتوقف أحد الرجال وهو يقول:

- أظنني قد عثرت عليه.

ثم بدأ يرفع التراب بيديه ثم أخرج صندوقاً متوسط الحجم وتقدم منه برنتيس وفتحه واقترب أحد الرجال بمشعله. وأخرج برنتيس محتويات الصندوق: ساعة يد، وقلم حبر، وزوج من الأحذية ذات الرقبة، وبنطلون وجاكتة وقميص. وقرأ روى شيئاً منقوشاً على ظهر الساعة: "إلى ج من زوجته ن ".

وقال برنتيس:

- إن هذا الصندوق يشبه الصناديق التي يبعث بها الجيش إلى أسرة الجندي الذي يقتل ويضم جميع حاجياته باستثناء شيء واحد أنه لا يحتوي على خطاب.

ولم يعثر برنتيس على شيئ غير هذا في الصندوق. وقال موجهاً كلامه لروي!

- إنها تخص جونز.

- البوليس السري الذي وضعه مكتب رينيت في خدمتي.

- نعم ولكني لا أعرف ماذا فعلوا بجثته.

الفصل الثالث

أرقام خطأ

إن كل يوم يمر بل كل ساعة كانت تكشف له عن جزء من ذاكرته المفقودة، وبدأت تفاصيل حياته وأحداثه تتضح. إن أشياء جونز التي عثروا عليها ذكرته بما قاله رينيت "إنني أتفق مع جونز يا روي"

وتذكر مكتب أورثوتكس للتحريات الشخصية وكيف ذهب ليقابل السيد رينيت ثم استخدامه لجونز البوليس السري الخاص.. وتذكر رقم التليفون الذي طلبه كوست قبل أن ينتحر إنه يعرف ثلاثة أرقام منه وهي "٢٧١" أما الرقم الرابع فلم يستطع التقاطه. إنه أخفى معرفته بهذا الرقم عن برنتيس وقد برر ذلك بنفسه بأن برنتيس قد حاول، ولكنه فشل ولأن هذا دوره ليحاول فربما هذا الرقم يوصله إلى السر. إنه سيتفاخر أمام آن ويقول لها أنه نجح فيما فشل فيه رجال سكوتلانديارد.

واستقل برنتيس وروي السيارة في طريق عودتهما إلى لندن وقال برنتيس في الطريق:

- لقد فشلت.

- وماذا ستفعل بعد أن تصل لندن؟

- سأذهب لأنام.. إنهم عندما يكتبون تاريخ هذه الحرب بعد مئات السنين، ويكتبون عن انحلال وسقوط الإمبراطورية البريطانية فإنهم لن يلتفتوا إلى هذه الأحداث البسيطة ولن تشغل منظرا واحدا من مجلدات التاريخ.. إنهم لن يذكروا واحدا منا لا أنا ولا أنت ولا جون المسكين. فكل ما سيهمهم عندئذ هو الأسباب السياسية والاقتصادية لهذه الحرب وما وقع فيها من معارك.

وسأله روي!

- وماذا تعتقد أنهم فعلوا بجونز؟

- لن نعرف أبدا ما حدث لجثته.. وقت الحروب يعثر على مئات الجثث المشوهة التي لا يستدل على أصحابها..

ومال برنتيس برأسه على كتفه وراح في نوم عميق.. وصلت السيارة بهم إلى لندن في الفجر وضوء النهار يتسلل مشرقاً على المدينة وقد أخذ العمال يتدفقون إلى مقر أعمالهم. واستيقظ برنتيس من نومه وفرك عينيه وأمر السائق أن يتجه إلى أحد الفنادق الصغيرة بالقرب من هايد بارك. وأردف يقول اذا كان لا يزال موجودا في مكانه ولم تقتلعه إحدى القنابل.

وأصر برنتيس أن يقوم هو بنفسه بترتيب مسألة نزول روي في ذلك الفندق. ثم تركه وهو يقول سأتصل بك فيما بعد.. لقد وضعه البوليس في هذا الفندق لكي يكون على مقربة منهم، ولكي يمكن معرفة مكانه

والاتصال به كلما حلا لهم ذلك. ولقد أقرضه برنتيس خمسة جنيهات مؤقتاً..

وشعر روي أن صاحب الفندق سيخطر البوليس بكل تحركاته، وتناول روي طعام الإفطار مكوناً من بعض اللبن والمربى. ثم خرج يتمشى في الطرقات القريبة من الفندق. وكان بين لحظة وأخرى يلتفت إلى الوراء ليرى ما إذا كان أحداً يتبعه. ولأول مرة يحس روي باحساس غريب، إحساس بالراحة والاطمئنان فإنه ليس قاتلا ولا يجد البوليس في البحث عنه، ورأى كشك تليفون فدخله ووضع بنسا في الصندوق وأدار القرص طالباً رقم ٢٧١ ثم أضاف رقماً آخر وهو الرقم الذي لم يستطع التقاطه. ولكنه سمع صوت يقول شركة باكنج للأدوات الصحية فوضع السماعة مكانها، وأدرك أن محاولة العثور على الرقم الرابع المفقود أمر عسير للغاية.. ووضع بنسا آخر وأدار القرص للثلاثة أرقام التي يعرفها ثم أضاف رقما رابعاً آخر وسمع صوتاً عجوزاً يقول: من المتكلم؟ ولم يستطع روي أن يعرف ما إذا كان هذا الصوت صوت رجل أم امرأة ووضع السماعة. ثم أسقط بنسا آخر وأدار القرص مضيفاً رقماً رابعاً جديداً وسمع صوتا يقول: هللو أرنست يا عزيزي لقد كنت أتوقع أن تطلبني... أظن أن دافيد قال لك أن ميني قد ذهبت.. لقد كانت الغارة الجوية ليلة أمس رهيبة..

ووضع روي السماعة فليس لديه وقت لسماع كلام لا يخصه، وقال محدثاً نفسه: لم لا يكون الشخص الذي تحدث إليه كوست يعمل في شركة باركنج للأدوات الصحية؟.. لكنه يذكر أن كوست ما أن أدار قرص

التليفون حتى بدأ يتكلم.. إذن فالتليفون الذي اتصل به كوست تليفون خاص وإلا لكان قد طلب من عاملة التليفون أن توصله بالشخص الذي أراد التحدث معه.

ووضع بنساً آخر ورد عليه قسم بوليس مافكنج رود، ووضع بنسا آخر ورد عليه صوت شركة كوك لغاز الإضاءة.. وتمهل قليلاً وفكر في أن يذهب إلى برنتيس ويخبره بالرقم الذي التقطه، لكنه أبعد هذه الفكرة، ذلك لأنه لن يستطيع أن يبرر لبرنتيس سبب سكوته طوال هذا الوقت، وشعر بالحماس يدفعه مرة أخرى.. إنه لم يبق أمامه سوى رقم واحد لم يجربه وعليه أن يحاول هذا الرقم فإن فشل فإنه ينبغي عليه أن يترك هذا الأمر لبرنتيس. ووضع روى بنسا في الصندوق وأدار القرص بالأرقام الثلاثة التي يعرفها والرقم الرابع والأخير. ووقف ينتظر الرد وقد تصبب العرق من جبهته.

خاتمة المطاف

استمر جرس التليفون يرن في الطرف الآخر. وتخيل روي التليفون في حجرة ليس بها أحد، ربما في حجرة تقطنها فتاة ذهبت إلى المدينة لشراء بعض الحاجيات.. أو ربما هي حجرة لأحد التجار وهو الآن في متجره... أو ربما هي حجرة رجل يحب القراءة وقد ذهب إلى المكتبة العامة...

وظل الجرس يرن، وشعر روى بالراحة فقد فعل ما في وسعه أن يفعله، ربما تكون هذه الحجرة بريئة من كل هذه الأحداث، وربما تكون غير بريئة. قد تكون حجرة رجل قاتل قتل كثيرا من الأنفس ولكن ما هو شكل

حجرة يعيش فيها مثل هذا الرجل؟ لا شك أن الحجرات تأخذ طابع من يسكنها تماما كما تفعل الكلاب عندما تأخذ طابع صاحبها..

وفجأة انقطع رنين الجرس وسمع صوتا يعرفه "من المتكلم؟" أنها هي بعينها آن هيلف.

وأعاد السماعة إلى مكانها، وخرج إلى كشك التليفون، وكان أمامه أن يختار بين ثلاثة أشكال للتصرف فهو إما أن يذهب إلى البوليس ويخطره وهذا هو التصرف المعقول الشريف، وإما أن يسكت ولا يقول شيئا ولا يفعل شيئا. أما التصرف الثالث فهو أن يواصل البحث والتحري بنفسه. إنه موقن كل اليقين أن هذا هو الرقم الذي طلبه كوست قبل أن ينتحر.. وتذكر الآن أن آن كانت تعرف اسمه الحقيقي حتى عندما كانوا يسمونه ديجي في المصحة.

وعاد إلى حجرته بالفندق وأخذ معه دليل التليفونات وأخذ يبحث فيه ساعات طويلة عن رقم التليفون.. وأخيرا عثر على الرقم وأمامه العنوان: ١٦ شارع برنس كونسورت مانسيونز، حي باترسي.

واستلقى على فراشه بعد هذا الجهد الذي بذله وأغمض عينيه ولم يستطع أن يبدأ نشاطه إلا بعد أن دقت الساعة معلنة الخامسة بعد الظهر. وركب أوتوبيس رقم أ. ١٩ أوصله الى شارع أوكلي ثم ركب رقم أ.٤٩ أوصله إلى قنطرة البرنت. وعبر القنطرة ومن خلفه سمع صوتا يناديه:

- روي؟ ألست روي؟ إن آخر مرة رأيتك فيها كنت كثيف اللحية.

- نعم أنا روي.

وارتبك الرجل وأخذته الحيرة وقال:

- لقد كان كريما منك أن تزوروني في ذلك الوقت.

- إنني لا أذكر.

وأخذته الدهشة وقال:

- يوم الجنازة.

وقال روي:

- إني آسف يا سيدى. قد أصبت في حادثة أفقدتني ذاكرتي وهي قد بدأت تعود إلي تدريجيا. خبرني من أنت؟

- أنا صديقك هنري؟

- تقول إنني جئت إليك يوم الجنازة!..جنازة من؟..

- إنها جنازة زوجتي التي ماتت. كنت أظن أنك قرأت عن وفاتها في الصحف. ولقد تألمت كثيرا بعد أن ذهبت لأنك طلبت مني أن أسحب لك شيكا ولكني نسيت.. إنك تعرف أن الإنسان لا يحسن التصرف في مثل هذه الظروف. وكنت أتوقع أن تعود مرة ثانية.

- ولكن لماذا جئت إليك لتسحب لي شيكا؟

- يبدو أن الأمر كان عاجلا.

- وهل سارت الجنازة من هذا المكان؟

- نعم في هذا المكان.

وأخذ روي يتلفت من حوله، وبدأت أحداث ذلك اليوم تعود إلى ذاكرته، وقال:

- آه لقد تذكرت. لقد طلبت منك أن تسحب لي شيكا لأني كنت هاربا من البوليس، فقد كانوا يبحثون عني متهما بجريمة قتل.. إنني لم أكن أعرف أن زوجتك قد ماتت. فقد كنت مشغولا بالتفكير في جريمة القتل هذه.

وقال له هنرى:

- إنك دائم التفكير يا روي... إن ما حدث قد حدث وانتهى.

- لكنني لم أرتكب جريمة قتل... فإنني لست قاتلا.

- بالطبع يا روي إن جميع أصدقائك لم يظنوا لحظة واحدة أنك قاتل.

- وهل كانوا يتكلمون عني؟

- هذا أمر طبيعي.

وتحول تفكير روي إلى اتجاه آخر. لقد تذكر الرجل وحقيبة الكتب وتذكر الطيور التي كان يطعمها من يده... ثم تذكر التاكسى والفندق وهناك وجد آن وقد شعر الاثنان أنهما في خطر.. وأفاق من تفكيره هذا وقال لهنري:

– معذرة الآن إذ يجب أن أذهب.

***

تقع الشقة التي تسكنها آن في الدور الثالث. وصعد روي درجات السلم ببطء وكم تمنى ألا تنتهي هذه الدرجات. وعندما ضغط على جرس الباب تمنى أن يكون المكان مهجورا ليس به أحد. ووجد أمام الباب زجاجة من اللبن وقد وضعت تحتها ورقة مكتوب عليها شيء. فأخذ الورقة وقرأ فيها "أرجو أن تحضر غدا نصف لتر فقط"

وفيما هو يقرأ الورقة فتح الباب ووقفت آن مبهورة تقول:

- أهو أنت؟

- نعم أنا.

ودخل من خلفها. وعندما أغلق الباب قال هامسا وكأنه يخشى أن يسمعه أحد:

- لقد عرفت رقم التليفون عندما طلبك كوست قبل أن ينتحر.

- كم هذا رهيب. إنني لم أعرف أنك كنت هناك.

- لقد قال لك ليس لي أمل.. أنا شخصيا ليس لي أمل.

واستطرد يقول بعد لحظة صمت:

- وبالأمس حدثت أشياء قاسية. وقد كنت هناك. هل تعلمين أن دكتور فورستر قد مات وكذلك بول

- لا

- ألست آسفة على هذه المذبحة التي ألمت بأصدقائك.

- لا، بل أنا سعيدة.. إنك يا عزيزي لا تعرف من هم أصدقاؤك ومن هم أعداؤك.. إن المسائل قد اختلطت عليك وهذا هو أسلوبهم دائما.

- إنهم استعانوا بك لمراقبتي هناك في مصحة الدكتور فورستر ليعرفوا متى تعود إلى ذاكرتي وعندئذ يلقوا بي في قسم المجانين كما فعلوا مع المسكين ماجور ستون.

- إنك على صواب في بعض ما تقول وعلى خطأ في البعض الآخر.. لقد كنت حقاً أراقبك بناء على أوامرهم ولكني لم أكن أريد أن تعود إليك ذاكرتك، فلم أكن أريدك أن تتألم. خبرني هل تتذكر الآن كل شيء؟

- إنني أتذكر الكثير.. على الأقل أعرف أنني لست قاتلا.

- حمد الله على ذلك.

- وكت أنت تعرفين أنني لم أقتل أحداً؟

- نعم كنت أعرف، وكنت أريدك أن تكون سعيدا ولا تتألم، ولذلك كنت لا أريد أن تعود إليك ذاكرتك.

قال لها وقد أثر فيها كلامها:

- إنني أحبك. وأنت تعرفين هذا. كل ما أريد أن أتأكد منه أنك صديقتي. أين هو الفيلم؟

- إن الفيلم معه هو.

- مع من؟

- مع أخى هيلف.

- آه. إني أذكر أنه هو الذي أخذني إلى بيت مسز ببليرز. وهو الذي سهل لي عملية الهرب لكي أبتعد عن طريقهم وأختفي.

- ثم عندما قلت لي أنك كتبت مذكرة بكل ما حدث وأنك سترسلها للبوليس أخبرته بذلك لأنني لم أحب أن أتركه في قبضة البوليس. ولكنني لم أكن أتوقع منه أن يهوي الى الدرك الذي هوى فيه..

وسألها روي:

- ولكن كيف تفسرين وجودك في الفندق عندما أحضرت حقيبة الكتب؟

- لقد علم أنني اتصلت بك تليفونيا وأنتما في بيت مسز ببليرز لكي أحذرك، ومنذ هذه اللحظة أدرك أنني لست في جانبه وأنني لا أقف ضدك معه. ولذلك طلب مني أن أذهب إلى الفندق وأقابلك هناك وأقنعك بعدم إرسال المذكرة إلى البوليس.

- لكنك لازلت على قيد الحياة.

- إن شعور الأخوة هو الذي منعه من قتلي.

وقال هو ينظر إلى الورقة التي وجدها تحت زجاجة اللبن:

- يبدو انه سيرحل.

- نعم.

- ومعه الفيلم دون شك.

- نعم.

- إذن يجب علينا أن نمنعه من السفر.

- بالطبع.

- وأين هو الآن؟

- إنه هنا في الشقة.

- تقولين هنا؟

- إنه نائم في الحجرة الثانية..

- لكنه ولا شك قد سمعنا.

- لا، إن الحجرة الثانية في نهاية الممر وهو يغط في نوم عميق بعد مجهود طويل طوال النهار.

- وهل أستطيع أن أستعمل التليفون؟

- لا فإن التليفون قريب من الحجرة التي ينام فيها.

- إلى أين يزمع السفر؟

- لقد حصل على تأشيرة بدخول أيرلندا، وذلك عن طريق جمعية الأمهات الأحرار، وسيستقل القطار الليلة.

وقادته إلى حيث يرقد أخوها هيلف، وفتحت باب الحجرة برفق، ورأى روي هيلف ممددا على فراشه يغط في نوم هادئ برىء. وقد تدلت خصلات شعره الأشقر على وجهه.. وتذكر روي كوست وهو ينتحر.. وماجور ستون في قميص المجانين..

واستيقظ هيلف ونظر إليهما وهما يرقبانه، وتبسم لهما وابتسم روي هو الآخر. إنها الخدعة التي يلجأ إليها الصبية عندما يضبطون وهم يرتكبون خطأ فيعترفون بخطئهم وهم يبتسمون فيبدو هذا الخطأ تافها مهما كان جسيما وهكذا يتجنبون العقاب.

قطع روي الصمت بقوله:

- أين الفيلم؟

- الفيلم؟ إنه معي هنا.. لكن لا تنسى أنني يوما سهلت لك عملية الهرب، والآن فأنا...

وقاطعه روي:

- أين الفيلم؟

- فلنعقد صفقة فيما بيننا.. ولنتبادل المنفعة.

- ليس هناك شيئا نتبادله.. لقد انتهيت أنت.

- إن أختي تحبك كثيرا.. أليس كذلك؟ وإنك ولا شك لن يرضيك أن تقضي على شقيق زوجتك.

ورد عليه روي:

- لكن كان يرضيك أن تقضي على أختك..

- إن الضرورة هي التي أملت على ذلك التصرف.

ورأى هيلف أخته تحمل في يدها شمعدانا كبيرا وقال:

- أعتقد أننا يجب أن نتصرف بحكمة وأن نصل إلى اتفاق. أرجوك يا آن أن تضعي هذا الشمعدان من يدك أنني لن ألحق بك أي أذى حتى لو أردت ذلك.

ورد عليه روي:

- ليس هناك أي أسس لأي اتفاق. كل ما أريده هو الفيلم ثم بعد ذلك سيقبض عليك البوليس. إنك لم تحاول الوصول إلى اتفاق مع ضحاياك مثل ستون أو جونز.

- إنني لا أعرف شيئا عنهما.. إنني لست مسئولا. هناك في هذا الكتاب الملقى على الأرض قطعة من الشعر تناسب هذا المقام.

ومال هيلف على الكتاب ثم اعتدل وفي يده مسدسا وقال:

- قفا مكانكما ولا تتحركان. والآن أعتقد أننا نستطيع أن نتفق

وقال روي:

- أين كنت تخبئ هذا المسدس.

- الآن نستطيع أن نعقد صفقة، فكلانا في مأزق.

- لا، لا أعتقد أنك تستطيع أن تفعل شيئا. هل تتصور أنه يمكن قتلنا نحن الاثنين ثم تهرب بعد ذلك إلى أيرلندا؟.. أن البوليس سيكون في انتظارك في المطار.

- لكن إذا كان مصيري هو الموت فلنمت كلنا سويا، وستكون مذبحة.

ورد عليه روي:

- لا بأس فلا يهمني عشنا أو متنا طالما أنك لن تستطيع الخروج بالفيلم.

وصاح هيلف:

- هل معنى هذا أن ذاكرتك قد عادت إليك؟

- وما صلة هذا بذاكرتي؟.

- إنها صلة قوية؛ فأنت طوال حياتك كنت ميالا للانفعالات الصاخبة؛ فهذه طبيعتك وكم تخيلت أنك بطل، وأنك ستكون شهيدا يشار إليه بالبنان. لقد عرفت ذلك بعد دراسة حياتك وكيف كنت تعيش وأين كنت تسكن.. كل هذا جعلني أشعر أن من اليسير التفاهم معك، ثم أصبت بفقدان الذاكرة وتغير الموقف، والآن فإني أستطيع أن أساعدك وأكشف لك عن كل ماضيك الذي لازلت تنسى الكثير منه مقابل أن تتركني أهرب.

وصاحت آن:

- لا تصدقه يا روي.. إنه يكذب فلا تنصت إليه.

وقال هيلف:

- إنها لا تريدك أن تعرف كل ماضيك. ألا يجعلك هذا تصر على معرفته؟ إنها تريدك كما أنت الآن لا كما كنت في الماضي. فهي لا تريد الماضي ولا تريدك أن تتذكر الماضي.

وقال روي:

- إن كل ما أريده هو الفيلم.

وقال هيلف:

- تستطيع أن تقرأ عن نفسك في الصحف فلقد كنت مشهورا في يوم من الأيام...

وقاطعته آن:

- لا تسترسل معه يا روي ولا تجعله يساومك.

وفجأة ضربته بالشمعدان على رأسه فسقط المسدس من يده وأصدر هيلف أنينا. والتقطت هي المسدس.

وقال روي:

- اعطني هذا المسدس يا آن.

لكن آن لم تعطه المسدس، ووقفت إلى جانب أخيها، وأشهرت المسدس في وجه روي وقالت له:

- أخرج وانتظر خارج الحجرة.. أرجوك أن تخرج الآن.

وقال لها روي:

- لا تتركيه يؤثر عليك يا آن وتذكري أنه أراد يوما أن يقتلك

- أرجوك أن تكف عن الكلام واخرج الآن فلا فائدة من هذا الكلام.

وقال لها روى متوسلا:

- عديني أنك لن تدعيه يهرب.

- أعدك بذلك.

وعندما خرج أغلقت الباب بالمزلاج. ومرت لحظات لم يسمع فيها أي صوت غير صوت الصوان وهو يغلق.

وكان يستطيع أن يتصل بالبوليس تليفونيا وعلى الفور سيحاصر البوليس المكان، لكنه لم يفعل فقد كان ملتزما بالوعد الذي قطعته آن، ولم يعد يستهويه عنصر المغامرة فقد أصبح كل شئ تافها، واستحوذ عليه شعور آخر، شعور بالشفقة على آلام الإنسان ومتاعبه.

ومرت خمس عشرة دقيقة، وبدأ يسمع همسا في داخل الحجرة: هل هو يحاول أن يؤثر عليها؟.. إنها أخته. وفجأة فتح الباب وخرجت آن. وقالت له:

- إن ما كنت تريد الحصول عليه هو معي الآن.

وبدا وجهها قبيحا وهي تحاول منع نفسها عن البكاء، إنه قبح جذبه إليها أكثر من أي نوع من الجمال.. إن ما يربط قلبين بعضهما إلى بعض

برباط عميق ليس كونهما قد أمضيا وقتا سعيدا سويا، بل كونهما قد شقيا سويا وتألما سويا.

ومد روي يده وأخذ منها الفيلم، وانتابه شعور بالنصر. وسألها:

- وأين هو الآن؟.

- إنك لا تريده هو.. لقد ذهب.

- لكنك وعدتني بألا تدعيه يهرب.

- نعم لقد وعدتك لكنني لم أستطع الحصول على الفيلم منه إلا بعد أن وعدته بالهرب.

وفتح روي اللفافة التي بها الفيلم ونظر إليها ثم قال:

- ليس هذا هو الفيلم بل هي صورة له.

وقالت آن هيلف وقد اعتراها إحساس باليأس:

- لقد غلبت على أمري ولن أتدخل بعد ذلك وافعل ما تشاء، لقد كنت أريد أن احتفظ بكما أنتما الاثنين..

وسألها روي:

- أين ذهب؟

- إلى محطة بادنجتون وسيأخذ قطار الساعة السابعة وعشرين دقيقة.

- وأين تعتقدين انه خبأ الفيلم؟

- في جيب سترته فهو لا يحمل معه أية حقيبة ولا حتى قبعة

- سأذهب الآن إلى المحطة.

- لماذا لا تترك أمر مطاردته لرجال البوليس؟

- إن الوقت ضيق وقبل أن أتمكن من شرح الموضوع وشرح وجهة نظري فيه فإن القطار سيكون قد تحرك.

- إن البوليس يستطيع أن يقابله في نهاية الطريق.

- ربما يتخلف في وسط الطريق .

- أرجوك ألا تغامر إن معه سلاحا فلقد أعدت إليه مسدسه.

- لقد عقدت الأمور بهذا التصرف.

- كنت أريد أن أمنحه فرصة أخرى للنجاة.

- إنه لن يستطيع أن يفعل شيئا بهذا المسدس في قلب لندن غير إزهاق أرواح بعض الأبرياء.

- ليس في المسدس سوى رصاصة واحدة.

- أرجوك أن تنتظريني هنا. وإلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

- سأعود دون تأخير.. وسنبدأ الحياة من جديد.. وإنه لن يقتلني.

- لا أخشى ذلك.

- إذن مم تخشين؟

- أخشى أن يكلمك عن ماضيك.

- إنه لن يستطيع التأثير علي.

وأسرع إلى الطريق وأوقف تاكسي وطلب من السائق أن يسرع به إلى محطة بادنجتون، وانطلق التاكسي في طريقه، وكان يتوقف بين لحظة وأخرى أمام إحدى إشارات المرور ثم يندفع مرة أخرى.

وفي المحطة رأى القطار يقف وبه عربات عديدة. وكان الظلام قد خيَّم وأسدلت الستائر على نوافذ العربات وكان الواقف على الرصيف لا يستطيع أن يرى ما يجري بداخله.

ووقف لحظة يفكر كيفه يبدأ؟ ومن أين؟ إن العربات كثيرة. ثم قال: "إن هذا الصنف من الناس يستقل الدرجة الأولى"، ولذلك بدأ بحثه بالدرجة الأولى، وسار في ممر القطار يفتح كل كابينة تقابله وينظر بداخلها..

وعثر على هيلف، يجلس وبجواره امرأة تضمد له جرحه. وقال روي:

- أخرج إلي فلا أريد أن أتكلم أمام هذه السيدة.

- إنها صماء لا تسمع.

- اعطني الفيلم الأصلي.

- كان يجب على آن أن تعوقك مدة أطول. لقد طلبت منها أن تعطيني فرصة أطول.

- لقد خدعتها كثيرا.

- وماذا تنوي أن تفعل؟..

- انتظر إلى أن يبدأ القطار في التحرك ثم اسحب جرس الإنذار.

- أظن أننا يمكن أن نتفاهم.

- ليس هناك أساس للتفاهم.

- إنك لن تستفيد شيئا إذا ما قبضت علي دون الفيلم.

- إن المهم هو أنت وليس الفيلم.

ولكن بدأ روي يفكر فربما يكون الفيلم قد انتقل من حوزة هيلف إلى حوزة شخص آخر؛ فغير كلامه وقال:

- فلنتكلم....

ثم تذكر قول آن أنها تخشى أن يكلمه هيلف، وقال هيلف:

- إنك لا تفكر في الانتقام مني، ويجب أن نعرف أن آن ستتهم بمساعدتي على الهرب. ولا أظنك تريد الانتقام أيضا منها.

وبدأ القطار يستعد للتحرك وأطلق صفارته إيذانا ببدء المسير.. وقال روى:

- اعطني الفيلم.

- ما رأيك في أن تستعيد كل ما فقدته ذاكراتك.

- إن كل ما أريده هو الفيلم .

- لا أستطيع أن أفعل ذلك هنا أمام هذه السيدة، وأظن يجب أن نترك القطار.

وقال هيلف للسيدة الصماء:

- لقد قررت أنا وهذا السيد أن نقضي هذه الليلة في المدينة

وخرج الاثنان من القطار. وابتعد القطار عن الرصيف، وانزوى الاثنـان في مكان بعيد عن رصيف المحطة ليس فيه أحد، وقال هيلف:

- إن الفيلم في داخل حشوة كتف الجاكتـة، وها هي مطواتك فاستعملها.

واستطرد هيلف يقول:

- إن آن قد تركتني أهرب لأنها لا تريد أن أخبرك بماضيك.

وقال روي:

- وهل في ماضي حياتي ما يخجل؟!

وانتزع روي الفيلم من مكانه المخبأ فيه واستدار يبتعد عنه هيلف، وقال له هيلف:

- لا تذهب.. إنك لم تسمع مني بعد ما سأقوله عن زوجتك

والتفت إليه روي وقال متعجبا:

- وهل أنا متزوج؟

- لقد كنت متزوجا.. ألا تذكر. لقد وضعت لها السم في البن. وكان اسمها أليس، ثم حوكمت بتهمة القتل، وأرسلوا بك إلى مستشفي المجانين. إن هذه القصة كلها قد نشرت في الصحف، ويمكنني أن أدلك على تاريخ هذه الصحف لترى بنفسك.

وسرح روى بذاكرته في هذه الحقائق التي كشفها له هيلف الآن، وتذكر المحاكمة، وشعور العطف الذي دفعه إلى قتل زوجته ليجنبها مشقة الألم.. ولم يجب روي واستدار يبتعد. وسأله هيلف:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- سأتصل بالبوليس.

- إنني لن أقتلك بل سأتركك تعاني من هذا الماضي...

ثم قال متوسلا:

- ألا تمنحني خمس دقائق فقط.

- لا، بل سأخطر البوليس فورا.

ولم يبتعد روى أكثر من بضع خطوات وسمع صوت طلق ناري وأدرك أن هيلف قد انتحر، ولم يعد إليه وتركه للبوليس.

عاد روى إلى بيت آن، ووجد الباب مفتوحا، ودخل.. إنه لم يجدها حيث تركها في البهو بل وجدها في حجرة النوم وقد ارتمت على الفراش ووجهها إلى أسفل. ونادى عليها روي "آن".

ورفعت رأسها ونظرت إليه، وكانت الدموع قد غطت وجهها وشعر بحب عميق يهز جوانحه ويملأ كل قلبه. وشعر بالشفقة عليها وبالرغبة في أن يحميها من كل شيء مهما كلفته هذه الحماية، وسألته:

- ماذا قال لك؟

وكذب عيها روي:

- لقد مات قبل أن يتكلم وقبل أن أصل إليه فما أن رآني حتى أدرك أن الوقت قد فات فأطلق على نفسه الرصاص.

وصمت قليلا ثم قال:

- إنني أحبك يا عزيزتي.. أحبك..

- وأنا كذلك.. أحبك.

وجلس إلى جانبها، وظلا صامتين لا يتكلمان.. وشعر الاثنان أن الطريق أمامهما طويل، وينبغي عليهم أن يسيرا فيه بحذر شديد.

وحاول روي أن يقول لها شيئا رقيقا.

- حبيبتي الغالية، كم أنا سعيد يا حبيبتي.

وردت عليه بصوت رقيق:

- وأنا يا حبيبي.

ولأول مرة يحس روي أن السعادة شيئ يصعب المبالغة في وصفه مهما قيل فيه من وصف.

الفهرس

الفصل الأول: الأمهات الأحرار ٥
الفصل الثاني: تحريات شخصية ٣١
الفصل الثالث: هجوم أمامي........................ ٤٤
الفصل الرابع: أمسية مع مسز ببليرز ٦٢
الفصل الخامس: بين النوم واليقظة........................ ٧٩
الفصل السادس........................ ٨٥
الفصل السابع: حقيبة من الكتب ٩٩
الجزء الثاني
الرجل السعيد
الفصل الأول: محادثات في اركادى ١٢١
الفصل الثاني: قسم المجانين........................ ١٥١
الفصل الأول : موت على الطريقة الرومانية........................ ١٦٦
الفصل الثانى........................ ١٨٣
المطاردة ١٨٣
الفصل الثالث ١٩٤
أرقام خطأ ١٩٤